رئيس مجلس السيادة نجيب الربيعي اثناء دخوله الى وزارة الدفاع ١٩٥٨

"نادرة" في العراق تستحم بالماء المثلوج!!

جسرا بغداد الثابتان سنة 1939

ذاكرة العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2273) السنة التاسعة

الإثنين (10) تشرين الاول 2011

12

اعترافات اغضبت الزهاوي

ذهبت بموعد لزيارة النقيب في اليوم السادس من شباط 1919 لاودعه بمناسبة سفري الى انكلترة في الثامن منه. وقد وصلت الى الدار بوقت أبكر مما كان يتوقعه، فاستقبلني ابنه السيد هاشم وجلست اتحدث اليه لعدة دقائق قبل ان يدخل النقيب. وكان النقيب منذ وقت الاحتلال يسكن في داره المقابلة لتكية عبد القادر التي يراسها هو، حيث ان الدار التي كان يشغلها في العادة على النهر بالقرب من "المقيمية" كانت قد اخذت منه لسكنى الضباط بموافقته، وبيته مرتب ترتيبا بسيطا باعتناء. وتقع الغرفة التي يستقبل فيها زواره في الطابق الاول، ولها شبابيك تطل على حديقة صغيرة زرعت فيها اشجار البرتقال. وقد صفت حول جدران الغرفة أرائك صلبة مستقيمة مغطاة بالخام الابيض.

وهناك في احدى الزوايا بالقرب من الشباك حيث يجلس النقيب منضدة صغيرة مغطاة بالخام الابيض يوجد فوقها على الدوام كتاب او كراس. والجدران مطلية بالبورق الابيض، والغرفة غير مزدانة بزينة ما الا بنظافتها الناصعة.

آراء نقيب بغداد السياسية

المس بيل

والنقيب رجل متقدم في السن احنت ظهره السنون، وقد اقعده مرض الروماتيزم بعض الشيء. ويتألف لباسه من جبة طويلة تصل بطولها الى قدميه ذات ردنين طويلين، تصنع من الكتان الابيض في الصيف ومن القماش الاسود في الشتاء، وتحتها "صاية" من الكتان الابيض محزومة في الوسط بطيات نطاق ابيض عريض. وهو يعتم بعمامة بيضا ملفوفة حول طربوش احمر.

وعند دخوله انسحب السيد هاشم، ثم امر النقيب بان لا يسمح لاحد من الزائرين في الدخول عليه. فاخبرته باني تاركة بغداد بأبكر مما كنت اتأمل لأني كنت قد استدعيت الى باريس، ثم اضفت قائلة انه ربما كانت هناك تفصيلات طفيفة. مثل القرارات المتعلقة بالحدود. قد تدعو الحاجة الى تقديم معلومات محلية عنها هناك. وضربت مثلا على ذلك قضية متصرفية دير الزور التي وصل رئيس بلديتها مؤخرا ومعه طلب بالحاق المتصرفية بالدولة العراقية، وسألت النقيب رأيه في الموضوع.

فاجاب انه كان قد قابل الرجل المذكور وانه كان يعرف اخاه الذي كان من مواطني دير الزور المهمين. وكان زائرونا من هذه المنطقة قد استشاروا النقيب عن مستقبل المنطقة. على ان بعض الناس كانوا موجودين في مجلس النقيب فطلب من السائل ان يعود اليه في اليوم التالي عندما يكون الوقت قد سمح له بالتفكير في الموضوع، لانه جريا على عادته لم يشأ ان يبدي رأيا ما امام الناس. فقال لي: "انه ينتظرني الآن، ولما كان حديثنا الحالي حديثا سريا سأخبرك الآن بالجواب الذي كنت اقصد ان اجيبه به. حيث سأقول له: "اي ولدي، ان احسن ما تعملونه هو ان تستظلوا بظل الحكومة البريطانية، لان البريطانيين معروفون في العالم اجمع بالعدل والانصاف". ثم استطرد قائلا: "واني سأوضح لك ما في فكري في هذا الشأن أنني لا احب الافرنسيين (وليفهم بانه كان يسلم على سبيل الفرض بان الفرنسيين سيسيطرون على سورية الى حدود الدولة العراقية) نعم انني معجب بثقافتهم وعقولهم النيرة، لكني لا احب حكومتهم. اذ لايخفي علينا ان المسلمين في الجزائر قد كابدوا الارهاق تحت حكمهم فيها. وهذه أمور معروفة لدى الجميع، ورغبتي هي ان يبتعد الافرنسيون عن بغداد على قدر الامكان. خاتون صاحب، انا اقضي الان بهذا الحديث من اجلك فقط وارجو ان تعذريني عما ابوح به، انني اخشى ان يحدث تصادم لابد منه بين الافرنسيين والبريطانيين، لان البريطانيين اذا وضعوا قدمهم في مكان لا يرفعونه عنه، وهم اذا تمسكوا بشيء احتفظوا به الى الابد. وسوف يجابههم حسد الافرنسيين واطماعهم، ولو وقعت الحرب بين الفريقين من اجل ذلك واستدامت خمسين عاما سوف لا يتراجع البريطانيون. انا درويش، ولا اهتم بشؤون هذا العالم الفاني، لكنني لي خبرة طويلة بالرجال وبشؤون الناس وها انني اكشف لك عن هواجسي"..

وبعد تزويق هذا الحديث لعدة دقائق (لان النقيب غير مطرد ومتنقل في حديثه) سألني، جريا على عادته التي لا يشذ عنها كلما زرته، عن عودة السر بيرسي كوكس ومتى ستكون. ثم قال: "خاتون، هناك الف ومائة رجل في انكلتره بوسعهم ان يشغلوا منصب السفارة في ايران، لكنه ليس هناك من يليق للعراق سوى السر بيرسي كوكس. فهو معروف ومحبوب وموضع ثقة اهالي العراق، كما انه رجل حنكته السنون". وقد اكد ذلك باقوى العبارات وبقناعة اخشى ان تكون بعيدة التبرير، ثم اردف قائلا: وسوف لا يذهب بالطائرة الى الموصل مطلقا كذلك وقعت بأيدي الانكليز وسوف يودعون السيارة. اضف الى ذلك، ان امتكم أمة عظيمة كبير في لندن، وسيكون محامينا المتكلم باسمنا. فاذا ارادت الحكومة هناك ان تعرف افكارنا سيكون بوسعه تزويدها بالمعلومات الضرورية وستكون كلمته مقبولة. واني اشهد الله ان السر بيرسي كوكس لو كان موجودا في بغداد لكنا في غنى عن حماقة استفتاء الناس عن رأيهم في مستقبل البلاد. حيث ان ذلك كان سببا للاضطراب والقلاقل، ولم تخمد سورة الفتن في المدينة بعد. وانت تعلمين اني لم اشترك فيما جرى، وقد منعت افراد اسرتي عن التدخل في ما لايعنيهم من هذه الامور. فكان ولدي، السيد محمود، اول من استقال من مندوبية المجلس، فقد اشرت عليه ان يبتعد عن هذا الامر. لكن الكثيرين من الناس جاءوا الي طالبين مشورتي وملحين علي بقبول وجهة نظرهم. فاجبتهم ان الانكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من اجلها كما اراقوا دماءهم في تربتها. حيث ان دماء الانكليز والاسترالليين والكنديين ومسلمي الهند عبدة الاصنام قد خضبت تراب العراق ولذلك فلا بد لهم من التمتع بما فازوا به. ان الفاتحين الآخرين فتحوا البلاد وتنعموا بها، وكما وقعت فريسة بيدهم حتى يوم الحشر. وانما سيسافر بوساطة السيارة. اضف الى ذلك، ان امتكم أمة عظيمة كبير في لندن، وسيكون محامينا المتكلم باسمنا. فاذا ارادت الحكومة هناك ان تعرف افكارنا سيكون بوسعه تزويدها بالمعلومات الضرورية وستكون كلمته مقبولة. واني اشهد الله ان السر بيرسي كوكس لو كان موجودا في بغداد لكنا في غنى عن حماقة استفتاء الناس عن رأيهم في مستقبل البلاد. حيث ان ذلك كان سببا للاضطراب والقلاقل، ولم تخمد سورة الفتن في المدينة بعد. وانت تعلمين اني لم اشترك فيما جرى، وقد منعت افراد اسرتي عن التدخل في ما لايعنيهم من هذه الامور. فكان ولدي، السيد محمود، اول من استقال من مندوبية المجلس، فقد اشرت عليه ان يبتعد عن هذا الامر. لكن الكثيرين من الناس جاءوا الي طالبين مشورتي والعنها. (كان النقيب يشير الى الاتحاديين) قد مات الاتراك اليوم وتلاشوا، وانا راض بان اكون من رعاياكم.

"انت ذاهبة الى لندن: وسوف تواجهين العظماء وتتحدثين اليهم، فقولي لهم هذا: ليعيد السر بيرسي كوكس الى العراق، ولينته الحكم العسكري حيث ان دوامه غلط فاحشٌ وانى لا اتكلم بهذا ضد القائد العام، فان نبله ظاهر في وجهه. وقد زرته مع انني غير معتاد على مثل هذه الزيارات. لكن السر بيرسي كوكس طلب الي زيارة السر ويليام مارشال (كان النقيب يتعثر بلفظ اسم القائد العام) فوافقت على ذلك. فلم يكن من اللياقة بشيء ان ارفض طلبه. وكذلك زرت الجنرال مود. ان بلادكم مدينة الى مود، كما اننا مدينون له بعرفان الجميل. وقد كان محبوبا في بغداد. لكن القوة يجب ان تكون في ايام السلم في ايدي رجال الدولة وليس في ايدي العسكريين. وعليكم ان تحتفظوا بجيش في هذه البلاد للمحافظة على الامن، لكن الجيش يجب ان يبتعد عن الحكم. وهذا ما يجب عليك ان تقوليه في لندن: "اننا نرغب في ان يحكمنا السر بيرسي كوكس". ثم اضاف قائلا بدهاء: "انك يجب ان لا تقولي انك نفسك قد اصبحت بغدادية وان تفكيرك منصرف بكليته الى سعادة العراق ورفاهيته، فان ذلك مع صحته سيقلل من اهمية ما تقولينه في لندن وسوف تقل فائدتنا منك".

وبعد كلمة التحذير هذه عاد النقيب الى موضوع الحكم الذاتي، فقال: "ما معنى كل هذا الكلام، وما قيمته؟ اني اعزو ذلك الى امريكة وكاني اسمع صوت (الرئيس) ويلسن منه. هل يعرف الشيخ ويلسن الشرق وشعوبه؟ وهل يعرف هو طرق حياتنا واصول تفكيرنا؟ انتم الانكليز حكمتم في آسية ثلاثمائة سنة، وحكمكم هو مثال تقتدي به جميع الشعوب. فسيروا في طريقكم، ولا تخضعوا لارشاد الشيخ ويلسن. فالمعرفة والخبرة هما دليلكم".

وبعد هذه الديباجة لم يكن من الصعب علي ان ارجع بالنقيب الى البحث في حوادث بغداد الاخيرة. فقال:

وقلت للنقيب بعد ذلك انه توجد عندنا قائمة كاملة باسماء اولئك الذين كانوا قد قادوا التحريكات المناوئة للبريطانيين، وانا بناء على طلب الاشراف قررنا اعتقال ستة او سبعة منهم، وانه بالنسبة لمعلوماتي ان اعتقال اؤلئك الاشخاص قد تم مؤخرا. فاهتم لذلك غاية الاهتمام ورجاني ان اعطيه اسماء الذين اعتقلوا. وقد تصادف ان كانت في جيبي مسودة اولية غير كاملة فيها قائمة باسماء المحركين، لكنني لم اكن اتذكر بالضبط ايا من هؤلاء كان في النية نفيهم. وكان في رأس القائمة اسم ..... و..... لكنني لم اذكرهما لانه لم يكن في النية اتخاذ شيء بحقهما. وقرأت للنقيب باقي الاسماء. فكان بينهم اثنان فقط ممن يعرف شيئا عنهما. ولم تكن عنده الا بعض المعلومات الطفيفة عن احدهما بحيث يستطيع ابداء رأي عنه. اما الآخر..... فقد كان يعرفه جيدا بحيث اكد كونه محتالا ماكرا. فتذكرت ان هذا الرجل لم يكن بين اولئك الذين كان في النية اعتقالهم، الا ان النقيب طلب الي ان اخبر وكيل الحاكم الملكي العام عن لسانه هو ان لايسمح لـ..... بالبقاء في بغداد. فطويت الورقة بعد ذلك قائلة ان جميع هؤلاء الرجال كان معروفا عنهم انهم القوا خطبا حماسية في مقاهي المدينة. ومع ان منزلتهم غير كبيرة بحيث لم يسمع باسمهم النقيب مطلقا فانهم قد سببوا اضرارا لا شك فيها على انني ضغت الى ذلك انه كان ثمة اثنان آخران كانا اشد ضررا لانهما كانا من ذوي السمعة الكبيرة. وقد اشرت الى ..... و.....

وبالنسبة لمنزلتهم.... لم يكن من الممكن لنا ان نتخذ خطوات لاسكاتهما بصورة فعالة. وكان النقيب ينصت لحديثي بانتباه، وقد بقي مطرقا لحظة ما. فقال اخيرا: "كلا، لا يمكنكم حبسهما ولا نفيهما، لان الفضيحة ستكون بالغة الاثر، لكني لو كنت متيقنا من تأييد الكولونيل ويلسن لعملي لبعثت عليهما واعربت لهما عن استنكاري لسيرهما. حيث انني على علم بانهما مندفعان بدوافع دينية وان الاعتبارات الدينية هي التي تكون اسس حججهما. وانني كما لا يخفى اتكلم عن جميع ما له علاقة بالدين بثقة وحجة".

فشكرت النقيب بحرارة على تطوعه هذا قائلة ان الكولونيل ويلسن سيقبل ذلك منه بمنة. وقد ارسل في اليوم التالي كتاب بهذا المعنى الى النقيب.

وقد وصلت المحادثة الآن الى حد المودة والوثوق بحيث تجرأت معتذرة لما ابديه والقيت على النقيب سؤالا شخصيا فاحصا. وكان قد قاد الحديث هو بنفسه من دون تقصد الى ما كنت اعنيه بتطرفه الى قضية ترشيح الشريف او احد انجاله لمنصب الامارة في العراق.

فقال: "انني من اقارب الشريف، واتحدر من نفس السلالة، واشاركه في مذهبه الديني ولذلك فاني ارجو ان تفهموا اني لست مدفوعا بدافع الاختلاف في الدم او العقيدة عندما اقول لكم انني سوف لا اوافق ولن اوافق على تعيين الشريف او احد انجاله اميرا في العراق. فان الحجاز غير العراق، وليس هناكعلاقة بينهما غير علاقة العقيدة . فسياستنا وتجارتنا وزراعتنا كلها تختلف عن سياسة وتجارة وزراعة الحجاز".

فقاطعته قائلة انني ارى ان ذلك يعني وصل الاموات بالاحياء. فايد النقيب هذا التشبيه واضاف قائلا: "ان الحجاز هي بلاد الاسلام المقدسة. ويجب ان تبقى دولة مستقلة لوحدها يستفيد منها المسلمون كلهم، وهي اشبه بالقدس التي تعد بلدا في غاية القدسية بالنسبة للمسلمين وللمسيحيين ايضا، (ولم يلمح بشيء عن المصالح اليهودية، كما اني لم ار من المناسب ان اتطرق الى هذا الموضوع الشائك).

وان حقوق المسلمين و المسيحيين على السواء يجب ان تصونها الدولة لاجل ان يجني الجميع المنافع من مدينتهم المقدسة. اما عن حكومة العراق فان كرهي للادارة التركية الحاضرة معروف لديك، لكنني افضل الف مرة عودة الترك الى بغداد على ان ارى الشريف او ابناءه ينصب احدهم هنا".

وعند هذا قلت له "اذا اقتضت الضرورة لاسباب سياسية لايمكن التكهن بها مقدما، ان ينصب على رأس الدولة العراقية امير من الامراء فهل يسعكم قبول هذه المسؤولية بمعونتنا وتعضيدنا لكي نتجنب انتخاب احد الامراء من الحجاز؟".

وكانت يدي موضوعة على ذراع اريكته الخشبية. فنقرها بنقرتين او ثلاث نقرات تعنيفية باصابعه ثم انحنى باتجاهي وقال ضاحكا، ولكن بتأكيد شديد:

"كيف يمكنك القاء مثل هذا السؤال عليّ؟ انا درويش فهلا تعصمني عادتي هذه؟" ثم اخذ يؤشر بالاشارة المعروفة بتحريك جبته السوداء . واردف قائلا: "ان صيرورتي رئيسا سياسيا للدولة هي ضد اشد مبادئ عقيدتي تأصلا، ففي ايام جدي عبد القادر اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين انت وزملاؤك مشروتي الان، لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة. وسوف لا اوافق انا ولا اي احد من احفاده على ان نفعل ذلك.

هذا جوابي من الوجهة الدينية، لكنني ساعطيك جوابا يستند على اسباب شخصية. فانني متقدم في السن، وارغب في ان اقضي الخمس او الست سنوات التي بقيت من حياتي في الدرس والتأمل. حيث انهما مشغوليتي المستديمة:.

ثم انقطع عن الحديث وبقيت انا صامتة ايضا، لانني تحسست تحسسا عميقا بكلماته هذه لكنه كان ما يزال غير مكتف بالجواب الذي اجابني به، فقال بأناة رافعا صوته:

"وسوف لا اتراجع عما قلته الآن حتى اذا كان في ذلك انقاذ العراق من الدمار التام".

وقد استغرق الحديث ساعة ونصف الساعة، وبعد ان اعتذرت ببعض الكلمات عن سؤالي الاخير اعتذارا اشار الى عدم الحاجة اليه ترخصت بتركي له. وقبل ان يسمح لي بالذهاب تفضل بالاعراب عن مودته الشخصية لي وبتذكيري بصداقتنا القديمة التي ترجع كما قال: الى ما قبل الحرب بعدة سنين. فاخبرته عن اعتزازي العظيم بهذه الصداقة ثم شكرته للثقة التي وضعها في بتكلمه بمثل الصراحة التي ابداها خلال حديثنا الذي انهاه الآن. فرد علي طالبا ان اعتبره بمنزلة الوالد، وبعد ان تامل لقاءا عاجلا بيننا سمح لي بالذهاب تراقفني السلامة.

عن كتاب فصول من تاريخ العراق القريب تقرير كتبته المس بيل سنة 1919 وترجمة الراحل جعفر الخياط

الدكتورة بنت الشاطئ عاشقة بغداد

رفعة عبد الرزاق محمد

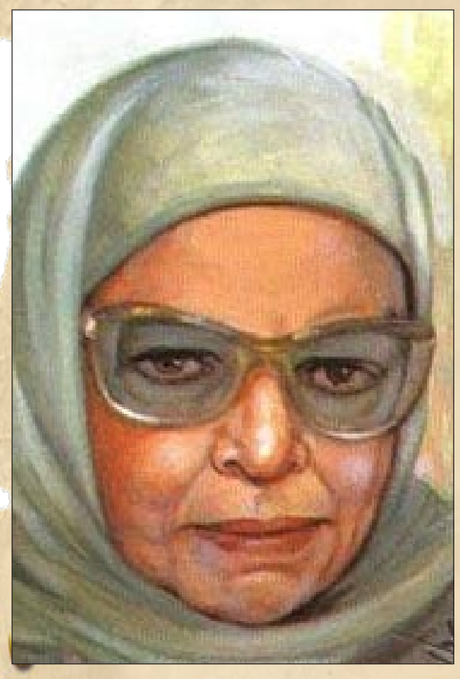

في اواخر عام ١٩٩٨ فجعت الاوساط الثقافية العربية برحيل شخصية ادبية كبيرة ،وعالمة محققة قديرة ، قدمت للفكر العربي الحديث خدمات علمية جليلة ، جديرة بالتكريم ، وحرية بالتنويه ، هي الدكتورة عائشة عبد الرحمن المشهورة ببنت الشاطئ . وهي الوجه الادبي البارز للرعيل الذي خلف العباقرة في مسيرة التنوير العربي الحديث . فقد كانت اديبة رقيقة وباحثة دقيقة ومحققة واثقة ، ولعل تحقيقها لكتاب المعري الخالد (رسالة الغفران) يكفيها فخرا وخلودا على مر الايام .

ولدت بنت الشاطئ سنة ١٩١٣ بمدينة (دمياط) المصرية ، وحصلت على شهادة الماجستير في الادب ثم الدكتوراه بتقدير ممتاز سنة ١٩٥٠ بأشراف الدكتور طه حسين ، وكانت رسالتها للدكتوراه هي تحقيقها لرسالة الغفران للمعري . وتدرجت في المناصب العلمية الرفيعة ، ومنها رئيس قسم اللغة العربية في جامعة عين شمس لسنين طويلة ، حتى اصبحت استاذا للتفسير والدراسات العليا في جامعات عربية مختلفة ، وتلقت بهذا درجات وجوائز فكرية كثيرة ، ولعل زواجها من الاستاذ الشيخ امين الخولي كان من النقاط المهمة في حياتها ، فقد كان زوجها من اعلام الفكر والادب .

ان الحديث عن بنت الشاطئ ومؤلفاتها الجليلة ومعاركها القلمية ، واشهرها معركتها مع العقاد ، حديث ماتع وطويل ، غير ان ما يسرنا ذكره ان بنت الشاطئ زارت بغداد اكثر من مرة ، وتركت من الذكريات الادبية ماهو جدير بالتسجيل والتذكير . لقد احبت بغداد واهلها ، وكانت تشتاق لزيارة مدينة السلام و الف ليلة وليلة ، منذ نشأتها الادبية الاولى ، وقد ذكرت في اكثر من مناسبة ، انها منذ تلقيها الاول لم يثرها شيء مما تقرأه ، ولم تنفعل انفعالا الا بما طالعته من اشعار العرب واراجيزهم ، غير انها لم تكد تصل الى قصيدة ابن زريق البغدادي (لاتعذليه فأن العذل يولعه ...) وما كتبة السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) عن القصيدة وصاحبها ، حتى تحس برجفة في قلبها ، وتعيد القراءة وهي لاتملك الا الدمع ، وتعذر ذلك الشيخ الاندلسي الذي سمعها اثر العثور عليها عند رأس ابن زريق وهو على فراش الموت ، فبكى حتى خضبت لحيته . وهكذا عرفت بنت الشاطئ بغداد واقتربت صورتها في وجدانها ، وهي التي المت بكل مدارس الفكر العربي والاسلامي . فكانت تبث شجونها لمعارفها ، وتبدي شوقها لبغداد ، وتأكد هذا الشوق بعدما عرفت بالمنزلة الرفيعة التي منحها البغداديون لها . تقول في مقدمة كتابها عن المعري في بغداد :

حللت بغداد مرة وأنا متشوقة الى ان اعيش مرة أخرى ، ولو لبضعة ايام في بغداد التي لا تفتأ ارواحنا نحن المتخصصين في دراسة العربية والاسلام . تهوى اليها وتتعلق بها ، بل اننا نعيش فيها بوجداننا وعقولنا ، مرتبطين بها الرباط الوثيق الذي لا ينبت ولا ينفصل ، لطول ما عرفها تاريخنا ، العاصمة الفكرية والادبية الكبرى للعربية والاسلام .

ومن علماء بغداد وعشاقها ، المرحوم الدكتور مصطفى جواد (ت١٩٦٩) وكان يكن لبنت الشاطئ احتراما كبيرا دون ان يلتقيها ، فبقي منتظرا الفرصة التي تمنحه اللقاء بها . وفي الخمسينات زارت بنت الشاطئ بغداد زيارة ادبية ، فتزاحم الادباء والمعجبون للقائها مما قلل من حماسة مصطفى جواد للالتقاء بها ، حتى عادت الى مصر ، وفي السنة التالية التقى الاثنان في جلسة ادبية ، عندما زار جواد مصر ، فأرتجل الابيات التالية :

لما قدمت في العراق تشوقت
نفسي الى اللقيا وشم نهاك
فتسابقت زمر الكرام فلم اجد
من سبقهم نهجا الى مرآك
اني على الحرمان معترف بما
انشأت من ادب يبين علاك

فكتبت الى الدكتور مصطفى جواد رسالة مؤثرة فيما بعد ، جاء فيها : أما انا فوالله ما سعيت الى دار السلام الا وفي نفسي ان أزهو يوما بأن اقول : حضرت مجالس العلم في بغداد ولقيت اساتذتها الائمة وأخذت عنهم كذا وكيت ، لكن العراقيين — سامحهم الله- قد حرموني هذه المتعة وأوقفوني على منابر بغداد لاحاضر وانا التي رجوت ان اجلس امامها مستمعة ومتلقية ... ١٤-٢-١٩٥٨ بنت الشاطئ

ولعل من الطريف اضافته ان الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، كنيت ببنت الشاطئ ، وكانت لها قصة ذات دلالة ، فقد بأت عام ١٩٣٦ الكتابة في جريدة الاهرام بدون توقيع الى ان اقتضت الضرورة ان تكتب في الجريدة زاوية ثابتة حول آراء القراء بعنوان (بريد الاهرام) ، لكن واجهتها مشكلة نشر اسمها ، فهي رحمها الله من اسرة دينية معروفة ، ووالدها الشيخ محمد عبد الرحمن كان مدرسا كبيرا في المعهد الديني بدمياط وجدها الاكبر كان من أئمة الازهر . فشعرت عائشة عبد الرحمن بالحرج عند ذكر اسمها الصريح في الجريدة ، ولهذا اختارت اسما مستعارا هو (بنت الشاطئ) اعتزازا بمدينتها المطلة على البحر . وظلت تحمل هذا الاسم حتى بعد ان ضمها عميد دار الاهرام انطون الجميل الى اسرة تحرير الجريدة بشكل دائم. فكانت ثاني سيدة تكتب في هذه الجريدة الذائعة بعد الانسة مي زيادة ، وبقيت متعلقة بالاهرام الى رحيلها الابدي .

من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث

عبد المنعم الجادر

تقديم

يسر ملحق (ذاكرة عراقية) ان يعيد نشر بعض فصول كتاب رائد ، يعد وثيقة مهمة لتاريخ الحركة الفنية في العراق الحديث ، لعلوماته الزاخرة وفوائده الجليلة عن صفحات منسية من بدايات اليقظة الفنية في العراق ، كتبه صحفي قير ، من أوائل المحررين للصفحات الفنية في الصحافة العراقية ، انه الصحفي الراحل عبد المنعم الجادر ، وكتابه القيم (من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث) الصادر ببغداد عام ١٩٥٠ .

وترد في الكتاب أسماء كثيرة لمن عمل في الوسط الفني في العراق ، بكل صوره وأنماطه ، ولا نعرف ماذا حل بهم بهؤلاء الرواد في السنين اللاحقة؟ كما ترد اسماء جماعات واماكن مختلفة لجانب زاهر من جوانب (الزمن الجميل) ، ان الذاكرة العراقية حرية بأستعادة هذه الصور عن هؤلاء الذين نحتوا في الصخر واسسوا شيئا من لاشيء ، وثبتوا دعائم ما شيدوه ، وقدموا للاجيال الطالعة الشيء الجزيل . وتنبيه الجيل الجديد الى ان العراق لم يبخل يوما برفد نهضته الفكرية بكل مشاهدها ، وأن سحابة التقهقر والتخلف والتخندق المظلمة ، ماهي الا سحابة صيف . فالذي لحظناه جسامة النهضة الفنية التي انبثقت في العراق بعد الحرب العالمية الثانية ، وكثرة صالات العرض المسرحي والسينمائي في جميع انحاء العراق . وتنافس الفرق الفنية والشركات السينمائية المستوردة بتقديم كل جديد ومفيد . ولعل من المناسب ذكره انه في أوائل الستينات ، كان عدد دور السينما في العراق قد بلغ نحو خمسين دارا ، ومن الطريف ان محافظة الديوانية كانت تضم اربعة دور سينما ، بل ان احد الاقضية وهو خانقين قد شهد افتتاح صالة عرض !! . ومن المؤسف حقا ان يبدأ هذا العدد الكبير بالانحسار منذ منتصف السبعينيات حتى ال الامر الى أغلاقها بالمرة على أيامنا هذه وتحولت الى محال تجارية . ولايبدو الامر صعب التفسير ، فبل مثل العراق تناهبته الحروب والاهواء ، وشعب تناوشته سلطات لاتعرف شيئا اسمه الفن ، وتغلب قيم التخلف والغيبيات والتعصب في الصراع بين البداوة والحضارة (المصطلح الاثيرللدكتور علي الوردي) ، جدير بهذا التقهقر المريع ، وان كان مؤقتا كما ارى .

والاستاذ الراحل عبد المنعم الجادر(١٩٢٩–١٩٧٥) ، بدأ حياته الصحفية في الاربعينيات بعد ان ترك الدراسة في الكتابة عن الافلام الي كانت تعرض في دور السينما ببغداد في جريدة الزمان ومجلة المجالي ، وفي عام ١٩٤٦ اصدر مجلة نصف شهرية بأسم (السينما والمسرح) ، وفي عام ١٩٥٠ اصدر جريدة اسبوعية باسم الشباب ، ثم عمل في صحف مختلفة الى ان أصدر جريدته الذائعة (كل شيء) عام ١٩٦٣ ، وبعد اغلاقها بصدور قانون الموسسه العامة للصحافة عمل محررا في جريدة الجمهورية ، والصفحة الاخيرة فيها وكانت من افضل الصفحات المنوعة في الجرائد العراقية يومئذ ، الى وفاته في اواخر حزيران من عام ١٩٧٥ . كتبت مجلة الاذاعة والتلفزيون في تأبينه : ... مات عبد المنعم الجادر ، ذلك الشاب الذي لايكتهل ، وسكن ذلك المرح الصادق ، هل كان حقا ان يموت الشاب ويترك حسرة وغصة في قلوب أحبته . لقد بقيت محموعته الشعرية التي أصدرها قبل موته بفترة قصيرة بين ايدي اصدقائه ، يقراون حروفه التي سطرها من قلبه ، في رحلاته وفي ساعات تعبه ويقظته ..

عرفته المجالس الادبية ببغداد متحدثا لبقا وشخصية محببة للجميع بابتسامته وظرفه ، وكانت مجالس الطبيب عبد المجيد القصاب وجعفر الخليلي وناجي جواد الساعاتي الاثيرة لديه ، وأظفى عليها اجواء البسمة والحب . وقد ترك عددا من المؤلفات القيمة : ١. تاريخ المسرح والسينما في العالم ٢ .فنانون عالميون ٣. من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث ٤. قصائد وقصص ٥ .ثورة للمعارك والحب والشعر .

(1) في التمثيل المسرحي نشأته وتطوره

لم يكن التمثيل في العراق حديث النشأة، بل عرفه العراقيون من ازمنة قديمة.. فقد كان الاشوريون والبابليون والعرب بعد الأسلام يمثلون مشاهد تمثل حروبهم وانتصاراتهم وما الى ذلك ولكن بشكل بسيط.. ولما دالت دول ما بين النهرين القديمة واستولى الفرس والاتراك وغيرهم على العرق قضوا على كل اسباب الحضارة والمدنية فيه، وخاصة ما يتعلق بالفنون الجميلة، وبقت الفنون الجميلة لا تكاد تذكر..

وفي ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ والمصادف ٢٣ آب ١٩٢١م توج على عرش العراق احد حفدة النبي العربي محمد "صلعم" ملكا على العراق وهو حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل الاول، باني مجد العراق. وتقدم العراق في مختلف النواحي، وانتعشت الحركة الادبية والفنية انتعاشا كبيرا ورعى تلك النهضة ساكن الجنان حيث لمس ما ستقدمه الفنون الجميلة للبلاد من خدمات جلى.. فاخذت التمثيليات الوطنية تقدم على مسارح المدارس وغيرها داعية الشعب لتشجيع حركة الفنون وفن التمثيل بصورة خاصة. ونبذ فكرة "القره كوز" والذي كان يقوم به جماعة من المهرجين في دور المراقص والملاهي، حيث اختمرت لدى الجمهور الصور المشوهة لفن التمثيل فما كان التمثيل يذكر حتى يقرن بتلك الوجوه المسوخة والملابس المزركشة البالية والكلام البذيء.. اندمج في سلك المناضلين عن الوطن كثير من شباب اشرف العوائل العراقية. حيث رأوا ان المسرح سلاح ذو حدين لخدمة البلاد. فكانوا يعتلون المسارح ليمثلوا مسرحياتهم المملئة بالدروس الاجتماعية والاخلاقية والقومية فكان لهم الاثر الفعال في القضاء على كثير من الامراض الاجتماعية والاخلاقية كما كان لهم الفضل الاكبر في تحويل اذهان الجمهور عن الفكرة السيئة نحو الفنون الجميلة وفن التمثيل على الاخص واهميته باعتباره مدرسة عامة تستفيد منا البلاد ويستفيد منه الشعب اكثر من استفادته في الجلوس في الحانات والبارات والمقاهي. وبذكر بفخر بعض من خدموا البلاد عن طريق التمثيل "حينذاك" نجيب الراوي واحمد الراوي والمرحوم جميل رمزي قبطان والمرحوم نوري ثابت وشفيق سلمان وعبد الرزاق ظاهر وابراهيم شوكت وصديق شنشل ومحمد حسن سلمان وعلي حيدر سليمان وعبد الرحمن خضر وصالح السهروردي والمرحوم عبد الكريم خضر وغيرهم من فضلاء المربين الحاليين الذين قدموا كل ما استطاعوا من جهود مشكورة في اعداد جيل جديد متمدن متقف عن طريق ارشاداتهم ودروسهم وعضاتهم الاجتماعية البليغة حيث سيخلد التاريخ اعمالهم في سبيل البلاد بحروف من نور...

وتقدم فن التمثيل بعدما شجعه الشعب وعاضده المخلصون من ابناء الامة وعاه باني مجد العراق. وفي سنة ١٩٢٢ ألف السيد خالص الملا حمادي فرقته التمثيلية المسرحية برأسته. والتي سماها "الفرقة العربية للتمثيل". واقام عدة حفلات تمثيلية استكملت كثيرا من النواقص الفنية الموجودة حينذاك. وقامت الفرقة بعدة جولات لبعض الالوية العراقية حيث اخذ الناس اول فكرة "خارج بغداد" عن اهمية التمثيل وقضت على كثير من الافكار السيئة عن التمثيل في اذهان الجمهور. وبعد تقديم بضعة حفلات اخذ الناس فكرة لا بأس بها عن الفنان، مما حدى ببعض الشباب المتهيب ان يؤلف الجمعيات الفنية. حيث ألفت فرقة مكتبة التقدم في سنة ١٩٢٤ في مدرسة الاليانس. واخذت تقدم المسرحية تلو المسرحية المحلية منها والمترجمة.. وعلى اثر تأليف هذه الجمعية وارتقاء افرادها خشبة المسرح تألفت في مدرسة التفيض الاهلية فرقة تمثيلية على اعتبارها لجنة. واخذت تقدم لحفلات المسرحية في بغداد والالوية العراقية وكان يرأسها عبد الوهاب العاني. وبدأت تسير على تحقيق احياء هذا الفن العزيز. فلاقت من التشجيع ما لم تلاقيه اي فرقة اخرى. كما كان لها اكبر الأثر في اقالة المسرح العراقي من عثرته. ووصلت الاخبار العراقية الى الاقطار الشقيقة والمجاورة وما وصلت اليه الفنون العراقية من حب الجمهور لها. فاخذت الفرق التمثيلية المصرية والتركية وغيرها. تفد الى العراق. نذكر منها فرقة عبد النبي او "كشكش بك" وفرقة البدوي. وفرقة ابراهيم سامي. وفرقة ارطغول بك.

واخذت تقدم مسرحياتها. وشاهد كثير من لشباب هذه المسرحيات فأخذ دروسا عملية في هذا الفن. وبعد قدوم هذه الفرق، ألف المرحوم "نوري ثابت" "حزبوز" فرقة دار المعلمين التمثيلية. واخذت تقدم مسرحيات مهمة على مسرح الثانوية المركزية. وقد شرف كثير من هذه الحفلات ساكن الجنان وباني مجد العراق المغفور له جلالة الملك فيصل الأول.. وقدمت الفرقة في احدى حفلاتها مسرحية محلية كوميدية تمثل ناحية من الحالة الاجتماعية المسرح العراقي من عثرته. ووصلت الاخبار العراقية بعنوان. "الصراف ابو روبين" ونالت هذه المسرحية التي ألفها المرحوم نوري ثابت استحسان ساكن الجنان المغفور له جلالة الملك فيصل الاول فأولم تشجيعا للفرقة وممثليها وليمة غناء في النادي العسكري. ترأسها باسم جلالته المرحوم الفريق جعفر باشا العسكري. وقد اشترك في هذه الحفلة كل من الاساتذة نوري ثابت ومحمود فهمي درويش وناصر عوني وغيرهم وبلغ من قوة الدروس الاجتماعية في هذه المسرحية وتأثيرها في الشعب ان اعيدت مرارا عديدة لالحاح الجمهور على تقديمها على مسرح سينما رويال. واخذ الفنان العراقي يلاقي التشجيع من جرائها..

وفي سنة ١٩٢٦ قدمت العراق الفرقة المصرية الكبرى برأسة جورج بك ابيض. فاحيت عدة حفلات مسرحية في جميع الوية العراق. كان لها الأثر الفعال في تغيير معالم المسرح العراقي الذي كان ينقصه كثيرا من المستلزمات الفنية كالماكياج والانارة وطريقة القاء الممثلين وحركاتهم.. وفي هذه الاثناء كان هناك شاب صغير السن يتابع مشاهداته للمسرحيات ويطبق ويبذل كل الجمهور للتعمق في تعلي هذا الفن الجميل "فن التمثيل" فاختمرت لديه فكرة قوية حول فن التمثيل فما وافت سنة ١٩٢٧ حتى ألف فرقة تمثيلية مسرحية اطلق عليها "الفرقة التمثيلية الوطنية" وكان ممن اشترك معه في الفرقة: عبد الحميد فخري، وعبود الشالجي، وعبد الحميد الخطيب، وصبري الذوييسي، ومحي الدين محمد، وعثمان الشيخ سعيد، وكرجي كاشي.

اما هذا الشاب الذي ألف الفرقة الوطنية فهو.. الاستاذ حقي الشبلي.. والذي لايستطيع احد ان ينكر فضله على فن التمثيل في العراق وتقدمه الى الامام بخطوات واسعة كما سيأتي ذكره..

وتعتبر الفرقة الوطنية اولى الفرق التمثيلية التي ازالت جميع النواقص الفنية من المسرح العراقي حينذاك فقابلها الجمهور بما تستحقه من تقدار وحسن ظن وتشجيع فاذا اضفنا العناصر الفنية القوية التي اندمجت في سلكها لرأينا العجب يزول من تقدمها بفن التمثيل تقدما

فرقة حقي الشبلي ١٩٣٣

واسعا. فقد التحق بالفرقة في الفترة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٥ كل من: عزيز علي، سليم بطي، فوزي محسن الامين، الياهو سميرة، البيك ابراهيم، يوسف نقاش، عبد الله العزاوي، فاضل عباس، احمد حقي ، مهدي وفي، نسيم عزيز، ناصر عوني، عزة عوني، بهجت خالد، عبد الهادي علي، نديم محمد، ناجي سلمان، عبد الحميد الدروبي، عبد المنعم الدروبي، عبد اللطيف داود، اوكست مرمرجي. عزة دانو، لويس ناصر، مديحة سعيد، وغيرهم من اقوى ممثلي المسرح وبقيت الفرقة تقدم اقوى المسرحيات وتقوم برحلات الى جميع الالوية العراقية فازدهرت النهضة الفنية المسرحية ازدهارا عظيما وقد سميت هذه الفترة "بالعصر الذهبي الفني" مما شجع بعض الفنانين المصريين والسوريين الذين قدموا مع فرقهم ان يبقوا في العراق ويندمجوا مع هذه الفرقة القوية وكان ممن بقي. المرحوم بشارة واكيم. وعبد اللطيف المصري. وعبد الغني محمد. ومحمد المغربي وزوجته. وعبد الحميد البدري، ونوري الدين المصري، وغيرهم. وقد اصاب هذه الفرقة بعض الانتكاسات الصغيرة كسفر الاستاذ حقي الشبلي الى مصر او غيرها. ولكنها بقيت قوية، واهم اسباب قوتها: قوة العناصر الفنية فيها، وتماسك اعضائها واتحادهم، وكانت باكورة اعمال الفرقة وسفرائها الى خارج بغداد، هو رحلتها الى جنوب العراق في اواخر ١٩٢٨. بعد ان قدمت عدة مسرحيات في بغداد، وكانت اول مسرحية قدمتها الفرقة المذكورة هي مسرحية "جزاء الشهامة" على مسرح "ليالي الصفا" واخذت توالي تقديم مسرحياتها فقدمت: البرج الهائل، بوليوس قيصر، جنفياف، لولا المحامي، قاتل اخيه، هملت، الحاكم بامر الله. وغيرها من اقوى الروايات المحلية المترجمة.

وفي اوائل ١٩٢٩ قدمت فرقة السيدة فاطمة رشدي العراق فلما رات في الاستاذ حقي الشبلي مواهب فنية قوية اتفقت معه على السفر الى مصر لصقل هذه المواهب اكثر.

فسافر الاستاذ الشبلي لدراسة التمثيل على يدي المرحوم عزيزة عبد الممثل والمخرج المصري حينذاك، وزوجة السيدة فاطمة رشدي ومكث يدرس هناك سنة تقريبا.

واثناء سفر الاستاذ الشبلي الى مصر وغيابه عن الوسط الفني العراقي سنة فقد ترأس الفرقة الاستاذ عزيز علي. وفي الوقت تشكلت فرقة تمثيلية اخرى باسم "الفرقة التمثيلية العصرية" وقام بتأسيس قسم من اعضاء الفرقة الوطنية السابقين. برأسة محي الدين محمد، وانتعشت الحركة الفنية انتعاشا محسوسا، فتشكلت في سنة ١٩٢٩ "الفرقة التمثيلية الشرقية" برأسة الفنان المرحوم صبري شكوري وبقيت الفرقة الشرقية تقدم مسرحياتها الى سنة ١٩٢٥ حيث انحلت لوفاة رئيسها وفي سنة ١٩٢٩ ايضا الف الاستاذ كمال عاكف بالاشتراك مع بعض الفنانين نذكر منهم الاساتذة فريد لقمان وصلاح الدين "جمعية احياء الفن" وكانت هذه الجمعية برأسة كمال عاكف، وقدمت مسرحيتين قويتين ثم انحلت على اثرهما.... وبقيت الجمعيات والفرق التي الشبلي في مصر او غيرها. ولكنها بقيت قوية، واهم اسباب قوتها: قوة العناصر الفنية فيها، وتماسك اعضائها واتحادهم، وكانت باكورة اعمال الفرقة وسفرائها الى خارج بغداد، هو رحلتها الى جنوب العراق في اواخر ١٩٢٨. بعد ان قدمت عدة مسرحيات في بغداد، وكانت اول مسرحية قدمتها الفرقة المذكورة هي مسرحية "جزاء الشهامة" على مسرح "ليالي الصفا" واخذت توالي تقديم مسرحياتها فقدمت: البرج الهائل، بوليوس قيصر، جنفياف، لولا المحامي، قاتل اخيه، هملت، الحاكم بامر الله. وغيرها من اقوى الروايات المحلية المترجمة.

وفي اوائل ١٩٢٩ قدمت فرقة السيدة فاطمة رشدي العراق فلما رات في الاستاذ حقي الشبلي مواهب فنية قوية اتفقت معه على السفر الى مصر لصقل هذه المواهب اكثر.

فسافر الاستاذ الشبلي لدراسة التمثيل على يدي المرحوم عزيزة عبد الممثل والمخرج المصري حينذاك، وزوجة السيدة فاطمة رشدي ومكث يدرس هناك سنة تقريبا.

واثناء سفر الاستاذ الشبلي الى مصر وغيابه عن الوسط الفني العراقي سنة فقد ترأس الفرقة الاستاذ عزيز علي. وفي الوقت تشكلت فرقة تمثيلية اخرى باسم "الفرقة التمثيلية العصرية" وقام بتأسيس قسم من اعضاء الفرقة الوطنية السابقين. برأسة محي الدين محمد، وانتعشت الحركة الفنية انتعاشا محسوسا، فتشكلت في سنة ١٩٢٩ "الفرقة التمثيلية الشرقية" برأسة الفنان المرحوم صبري شكوري وبقيت الفرقة الشرقية تقدم مسرحياتها الى سنة ١٩٢٥ حيث انحلت لوفاة رئيسها وفي سنة ١٩٢٩ ايضا الف الاستاذ كمال عاكف بالاشتراك مع بعض الفنانين نذكر منهم الاساتذة فريد لقمان وصلاح الدين "جمعية احياء الفن" وكانت هذه الجمعية برأسة كمال عاكف، وقدمت مسرحيتين قويتين ثم انحلت على اثرهما.... وبقيت الجمعيات والفرق التي

المعهد العلمي فاستبدلت باسم "الفرقة التمثيلية العربية" وكان من اعضاء هذه الفرقة كثير من الفنانين منهم الاساتذة: صفاء مصطفى ، يحيى فائق، اسماعيل حقي، فائق حسن، واخذت تقدم حفلات مدرسية ومسرحية ، وفي سنة ١٩٣٣ تأسست "فرقة ما بين النهرين" بعضوية كل من الاساتذة: اميل جبوري، لويس ناصر، يوسف هرمز، ولم تقم بنشاط يذكر، وفي اواخر ١٩٣٤ شكل الاستاذ عبد الله العزاوي فرقته باسم "جمعية انصار التمثيل" برأسته وعضوية كل من الاساتذة : فوزي محسن الامين، سليم بطي ، عبد الحافظ الدروبي، زكي سلامي، وغيرهم، وبقيت تواصل اعمالها الفنية فقدمت مسرحيات عديدة نذكر منها: المساكين، وحيدة ، مجنون ليلى، عبد الرحمن الناصر، قاتل اخيه، وغيرها من المسرحيات العالمية والمحلية القوية، حيث كان يشرف على اخراجها الاستاذ العزاوي..

وفي عام ١٩٣٤ ايضا أسس الاستاذ محمود شوكت فرقته باسم "فرقة بابل للتمثيل" برأسته وعضوية كل من : جميل عبد الاحد، وابراهيم معروف وغيرهم. وقد قدمت هذه الفرقة عدة مسرحيات قوية كانت من القوة بحيث اعيدت بعضها عدة مرات... وفي هذه السنين التي مرت والتي اسماها كثير من الفنانين "العصر الذهبي الفني" . اخذ المسؤولون ينظرون للنهضة الفنية من ناحية طيبة ففكروا طويلا في الدروس الاجتماعية التي قدمتها المسارح للشعب. وتبلورت الافكار من جرائها وقضي على كثير من الامراض الاجتماعية والعادات السيئة فوقع الاختيار على الاستاذ حقي الشبلي لارساله في بعثة لدراسة الاخراج والتمثيل المسرحي في اوروبا. فارسل في سنة ١٩٣٥ الى فرنسا على حساب وزارة المعارف. ويكون الاستاذ الشبلي اول فنان ارسل في بعثة تمثيلية للخارج.. وبقي زملاء حقي يعملون بعد سفره بقوة، فكثر لفيف من الفنانين تأسيس نقابة لتضم الفنانين تحت لوائها، وللدفاع عن حقوقهم فتأسست النقابة في ١٩٣٥/١/١٤ باسم "نقابة هواة التمثيل في العراق". وكان غرضها اصلاح الحركة المسرحية في العراق واخذ يديرها الاستاذ عبد الله الصراف يساعده لفيف من الفنانين على الوجه التالي: عبد الحافظ الدروبي كعضوا اداريا، ونعيم عبد الاحد، عضوا في الهيئة العامة ومديرا للجنة التمثيل، وناجي الواعظ، عضوا في الهيئة العامة ووكيل امين الصندوق، وكان من بعض بنودها: (أ) تشجيع حركة التأليف المسرحي والسينمائي. (ب) تشجيع حركة السينما المحلية والمسرح المحلي وتكوينها على اصول فنية صحيحة..

وبقيت النقابة تسير لتحقيق غاياتها على اصول فني منظم، وما عملته: انها اوجدت لجان مختصة باعمال معينة.

وفي ١٠ ايلول سنة ١٩٣٥ قدمت طلبا الى وزارة الداخلية لتأسيس نادي الهواة.. ثم اصابت المسرح نكسة اخرى كان من جرائها انفصال اكثر اعضاء الجمعيات الفنية. ودخولهم الوظائف والاعمال. وركدت الحركة المسرحية الا من بعض الحفلات القليلة التي كانت تقدم بين الحين والآخر نذكر منها: المساكين، انتقام المهراجا ، عبد الرحمن الناصر، الاول والاخير، وكانت الفرقة التي قدمت هذه المسرحيات هي "الفرقة العربية" برأسة الاستاذ يحيى فائق. كما قامت "فرقة بابل التمثيلية" التي استبدل اسمها "بانصار التمثيل العراقية" برأسة الاستاذ محمود شوكت ببعض النشاط الفني فقدمت مسرحيات نذكر منها: الاعتراف، جريمة الآباء، بوليوس قيصر، طعنة في القلب، وعند انحلال فرقة انصار التمثيل، التحق الاستاذ عبد الله العزاوي بوظيفة مساعد مرشد الخطابة والتمثيل في معهد الفنون الجميلة، الذي كان يسمى نادي الموسيقى، وقد فتحت الحكومة به فروعا اخرى وخاصة عند مجيء الاستاذ حقي الشبلي من فرنسا، وبفتح معهد الفنون الجميلة عاد النشاط الفني مرة اخرى كما سيأتي ذكره.

وفي فترة الركود التي اصابت المسرح العراقي تألفت بعض الفرق والجمعيات ولكنها لم تقم باعمال فنية قوية.

ونستطيع ان نقول ان الفترة بين ١٩٣٥ و١٩٤٢ كانت فترة ركود وجمود كما قدمنا باستثناء بعض الحفلات التي قدمت، وفي سنة ١٩٤٣ تشكلت "فرقة بغداد" برأسة الاستاذ فاضل عباس وكانت الهيئة الادارية على الوجه التالي: الرئيس: فاضل عباس، السكرتير: عبد الرحمن خضر، المدير الفني: عبد الله العزاوي، اعضاء اداريون: صبري الدوبيي، ومحي الدين محمد، مصطفى، اسماعيل حقي، فؤاد حبة، اسماعيل الامين، لويس توماس، جوزيف عجاج.

وقامت بتقديم مواسم تمثيلية حيث قدمت مسرحيات اعادت الى الاذهان "العصر الذهبي الفني". وكان مما قدمته من المسرحيات: الاستعباد، الصحراء، الثورة العربية، ابو عبدالله الصغير، وغيرها كثيرا..

ثم اخذ كثير من الشباب يقدمون طلبات الى وزارة الداخلية بطلب اجازتهم في تأسيس فرق مسرحية فكان من الجمعيات التي تأسست : جميعة اخوان التمثيل والسينما، والجمعية الفنية، وجمعية النهضة، والفرقة الشعبية، وغيرها ممن سنأتي عليهم بالتفصيل..

وكان من اهم ما اوقف النشاط المسرحي العراقي، هو انعدام العنصر النسائي فيه، فقد انخرط في سلك التمثيل المسرحي كثيرات من الفتيات ولكنهم انسحبن من الوسط الفني، اما لزواجهن او للعمل وكسب العيش او لموانع اخرى. وفي سنة ١٩٤٠ فتح فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة، فتهافت عليه الشباب لارتشاف مناهل الفن على احدث الطرق الحديثة فنشطت الحركة المسرحية من جراء ذلك نشاطا ملموسا وبدأت الفرق التي تألفت تقدم مسرحياتها وبدأ الشباب الذي دخل المعهد يعب من الدروس الفنية على احدث الطرق المتبعة في اوروبا.

من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث) الصادر ببغداد عام 1950

فرقة حقي الشبلي في اوائل تشكيلها

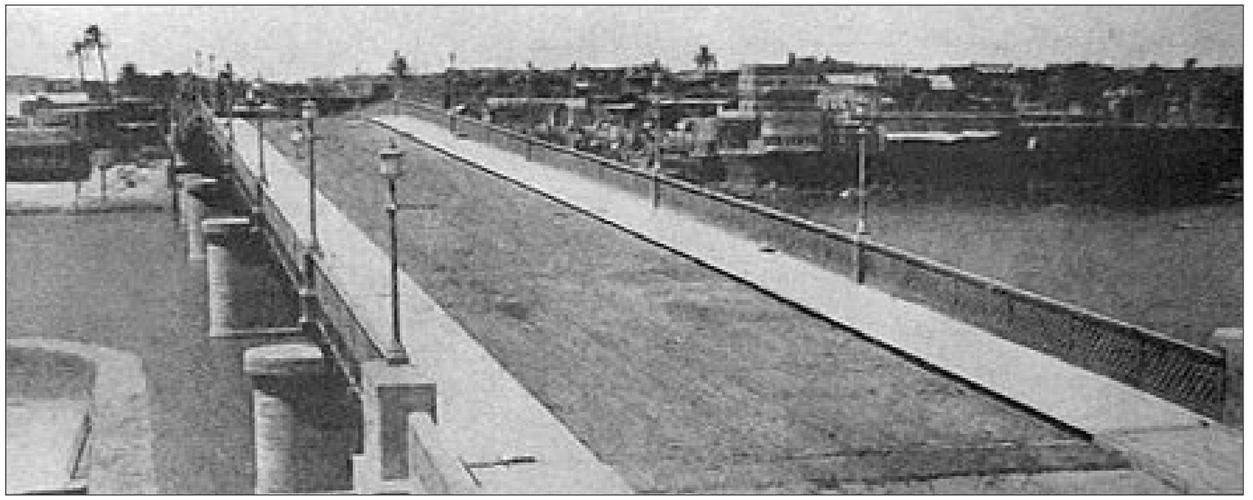

جسر الملك غازي

جسرا بغداد الثابتان سنة 1939

لم تشهد بغداد حتى الان مشروعا يضاهي مشروع جسري بغداد الجديدين عظمة وفخامة ويمكن القول ان هذا المشروع الذي اضطلعت به مديرية الاشغال العامة يعد اعظم مشروع هندسي من نوعه في العراق، ومهما حاولنا الاتيان على تفاصيله فلن نستطيع الا ذكر نبذة مختصرة يستطيع القارئ بها ان يلم بشيء عن المظاهر الطلية التي استرعت انتباه اهل العاصمة وتركتهم مدهوشين امام عظمة الفن الهندسي.

لقد نشأت فكرة تشييد جسر ثابت في العاصمة منذ بدأ العراق يفكر في كيانه السياسي وينافح في سبيل استقلاله بعد الاحتلال، وقد حاولت الوزارات المتعاقبة القيام بهذا المشروع الفخم حتى نفذ بعقد مقاولة مع شركة هولواي وهي من الشركات المعروفة في انكلترة عن انشاء جسرين ثابتين وذلك في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٧.

شرعت الشركة المذكورة في حفر اسس اكتاف الجسر الشمالي المعروف الان بجسر الملك غازي في ١٨ ايار سنة ١٩٣٧ من جهة الكرخ وشهد سكان العاصمة افتتاحه رسميا من قبل وصي عرش العراق صاحب السمو الملكي الامير عبد اله المعظم في ١٥ تموز سنة ١٩٣٩.

ولما كان الجسر ليس في الواقع الا طريقا عاما يراد به عبور ضفتي النهر لمرور وسائط النقل والمساعدة على تقدم العمران، فقد رؤى ان يكون من المنشآت الدائمة من جميع النواحي مع المحافظة على جمال المظهر والابداع الهندسي، ان الجسور التي تشيد في الممالك العصرية لا ينبغي ان تكون اقل من الشوارع والطرق الرئيسية المرتبطة بها من حيث العرض والتناسق والجمل كذلك يجب ان تكون عاملا من عوامل تجميل المدينة وعنصرا من عناصر اطراد الرقي والعمران.

وضع تصميم الجسر بحيث يستطيع ان يتحمل ثلاثة صفوف كل صف منها عبارة عن سيارة زنتها عشرون طنا تجر ثلاث عربات زنة كل منها ثلاثة عشر طنا وبحيث يستطيع الرصيف ان يتحمل ما زنته ٨٤ باونا على كل قدم مربع وقد روعيت نسبة سلامة الجسر عند وضع تصاميمه الهندسية فلا يبلغ الفولاذ المستعمل في تشييده منتهى المرونة حتى ولو ضوعفت الاثقاف.

قد يتساءل البعض لماذا لم يخصص في لقد شيد هذا الجسر الثابت على علو لا يعيق مرور وسائط النقل النهرية طيلة فصول السنة ولاسيما ان الوسائط النهرية الحالية التي تمخر عباب النهر ليست كبيرة الحجم.

والان ناتي على وصف موجز للمظاهر الهندسية في الجسر المذكور فنقول:

يبلغ عرض الجسر بما في ذلك الرصيفين خمسة عشر مترا وعرض كل رصيف ثلاثة امتار فيكون العرض المخصص لمرور العربات ووسائل النقل عامة تسعة امتار. اما طوله فيبلغ ٢١٩,٥ مترا .

يتألف الجسر من خمسة اقواس وفضاءات ذات انحناءات متفاوتة ويبلغ الارتفاع بين القوس الاوسط والاكبر وبين اعلى مستوى للفيضان (٥,٩) امتار اي ما يساوي (١٨) قدما. اما صافي المسافة بين الدعامتين الوسطيتين فيبلغ نحو (٥٢) مترا. وقد نصبت الاقواس الخمسة المذكورة فوق اربع دعامات نهرية وكتفين جانبيين. وشيدت الدعامات والكتفين بالخرسانة وركزت كلها بمستوى واحد يعلو ٣٠ قدما على مستوى البحر او ما يعادل نحوا من (٨٧) قدما تحت المستوى العام لشوارع العاصمة. اما كمية الخرسانة المستعملة في تشييد الجسر فقد بلغت نحو (١١,٠٠٠) مترا مكعبا اي ما يساوي حوالي (٢٨,٠٠٠) طن ومما زاد في جمال الدعامات والاكتاف بناؤها بكتل خرسانية صبت في ساحة العمل وبعد تشييدها ملئت من الداخل بخرسانة كميتها نحوا من (١٢٠٠) متر مكعب.

ولقد بنى القسم المرتكز فوق الدعامات من الحديد (المرد) وصنعت اقسامه في انكلترا اما اعمال الشد البرشيم فقد جرت في بغداد بشكل فضاءات (اقواس) يبلغ وزن اكبرها (٦٠٠) طن ثم تقلت هذه الفضاءات على دوب عائمة وارسلت الى مقدم النهر ومن ثم انزلت وشدت على الحاملات المصنوعة من الحديد (الاهين) المثبتة فوق الدعامات.

وقد بلغ وزن الحديد المستعمل في القسم الفولاذي من الجسر نحو (١٥٧٠) طنا كما صنعت محجراته واعمدة مصابيحه البالغ عددها (٢٢) من الحديد (الاهين). اما القسم المعد لمرور السيارات فقد سقف بحديد (محوض) ملئ بالخرسانة ثم فرش بعد ذلك بطبقة من القير بيد ان الرصيفين قد صنعا بارزين من الجسر على كلا الجانبين حسب قوانين هندسية معروفة ورصفت ببلاط من الخرسانة كما فرشت تحتها طبقة من الرمل والسمنت وقد بلغت كلفة القسم التحتاني من الجسر (٧٣,٣٥٠) دينارا والقسم الفوقاني (٧٤,٢٢٥) دينارا واذا اضيفت اليهما كلفة التساريخ التي تربط الجسر بالشوارع المؤدية اليه وقيمتها (١٠,٠٠٠) دينار اصبح مجموع الكلفة (١٥٧,٥٧٥) دينارا.

اما جسر الملك فيصل (المشيد في موقع جسر مود القديم) فهو مماثل تماما لجسر الملك غازي من حيث التصميم والانشاء الا انه بالنظر لكونه اطول فسيكلف نحو (٢١٠,٠٠٠) دينار.

هذا ولا ننسى قبل اختتام هذا الفصل ان نشيد بمجهود العمال العراقيين المستخدمين في هذا المشروع الذين لم يظهروا كفاءة ممتازة فحسب بل اظهروا مقاومة شديدة ايضا ولاسيما في الاعمال الخطرة الشاقة التي منها اعمال التغطيس تحت الهواء المضغوط في الدعامات والاكتاف واخيرا نقول ان الفخر يعود اليهم في انجاز مشروع من اعظم المشاريع الهندسية على احسن ما يرام بفضل اخلاصهم في العمل وتفانيهم في الخدمة. ان المنتوج الهندسي الذي نراه امامنا ونتمتع به في كل حين في استعماله لا يضاهيه عمل آخر في الافصاح عن تغلب الانسان على العناصر الطبيعية ومقدرته على اخضاعها لخدمته وتفننه في الاستعانة بها. فالمعادن تستخرج وتستعمل باحدث الاساليب وتكيف حسب التصاميم التي يريدها في منشآته الجبارة كما ان الاحجار تقلع من محاجرها وتسري عليها عمليات عديدة حتى تستحيل الى سمنت جاهز لصبه في كتل صلبة ضخمة تخترق قعر النهر وتستقر فيه ثابتة. وهنا تبدوا لنا مهارة المهندس وما بلغه من الحذق في تحويل مرافق القوة الى خدمة الانسان وراحته.

نشرة مديرية الرعاية العامة

آب 1939

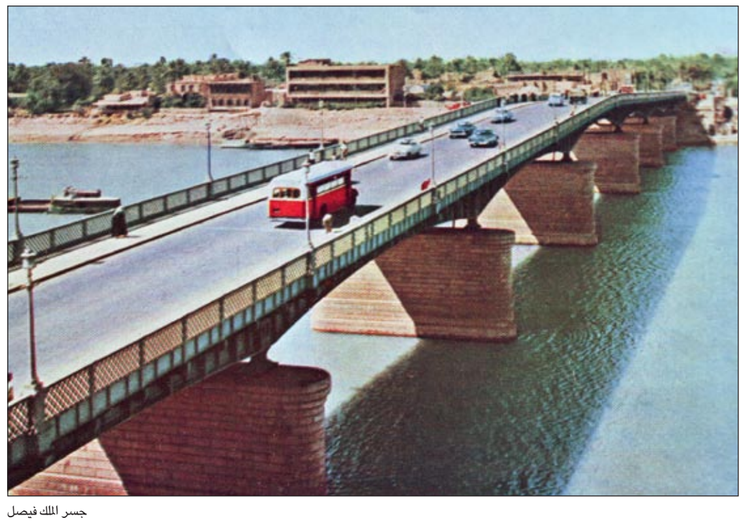

جسر الملك فيصل

مـــــــدن وذكـــــــريـــــــات

القـــوش
مـديـنـة الـحـب والاديـــرة

باسم عبد الحميد حمودي

في الثاني والعشرين من نيسان سنة ١٩١٥ قام الجاويش (رأس العرفاء) أحمد صبري من الجندرمة العثمانيين الملقب ب (الصقلي) ومعه مجموعة من الجندرمة يرفع العلم العثماني فوق تلة في قصبة ألقوش واشرف على بناء السراي فيها (الذي أنجز في ١٧ حزيران١٩١٦) لتصبح القوش بذلك وحدة ادارية عثمانية بعد أن كانت مجرد قرية لاأهمية أدارية لها رغم أهميتها الدينية وكثرة الاديرة والكنائس .

تقع بناية القشلةشمال جهة البلدة القديمة وعند الاحتلال الانكليزي عين الالقوشي بطرس أدمو مديرا للناحية وقد استخدمت الدولة المدنية العراقية بناية القشلة مركزا لادارة الناحية والشرطة .

يقول يوسف اسحق زرا في كتابه (المعالم العمرانية والحضارية في القوش) ط الشؤون الثقافية –بغداد – ٢٠٠١ أن القوش القديمة والحالية بعيدة عن مصادر المياه التي تشح حتى في العيون والآبار والتي تجري في بعض وديانها (صـ٤٠) مما أضطر الانسان منذ القدم الى اقامة سدود ترابية مبطنة بكتل حجرية لحصر كميات كبيرة من مياه الامطار تسد حاجة السكان .

ويشيرزرا الى الكثير من السدود الموجودة والمستخدمة ومنها سد محلة قاشا وسد المربعان الذي يقع شمال تلة الاسلام (رومتادمشلمان) وسد اودو الذي يقع جنوب ربوة (فراش الحرامية) وسد محلة سينا وسد المحلة التحتانية وسد القشلة.

وكان سد الخبر ننا يقع عند صعدة الجبل لوادي كيف الماء مقابل الهضبة الترابية المسماة فراش الحرامية و يتكون من أخدود (شق جبلي) يقدّر باربعين مترا طولا وبعمق يتجاوز المترين عمقا اضافة الى سدة ترابية ذات جدار حجري وكان هذا السد هو الاهم في سد حاجة القوش القديمة من المياه ،ولكنه أهمل بعد زمن وتراكمت عليه الاتربة .

حصلت القوش على شهرتهالوجود قبر النبي ناحوم الالقوشي فيها وهو كاتب أحد اسفار العهد القديم المعروف ب(سفر ناحوم) وكان اليهود يزورونه .

يقول الاستاذان كوركيس عواد ويعقوب سركيس في كتابهما (أصول أسماء مدن وقرى عراقية) بيروت ٢٠٠٩ أن أقوشي كانت عامرة منذ القرن السابع قبل الميلاد وقد وصف النبي ناحوم سقوط نينوى سنة٦١٢ ق م ، وأقدم المراجع السريانية التي ذكرت القوش الفت في ق٨م وهو كتاب ايشوع عدناح مطران البصرة (الاديرة في مملكتي الفرس والعرب)

كانت القوش مركزا للبطريكية الكلدانية وقد أقام فيها أحد عشر بطريكا بين عامي ١٥٠٤- ١٧٧٨ م ، وقد نكبها امير راوندوز سنة ١٨٣٢ .

اسم (ألقوش) آرامي ولا يميل عواد وسركيس الى تركية الاسم بمعنى الطير الاحمر بل يجدا أن اسمها الآرامي جاء من (أيل قشتي) ،وأن معناه (قوس الله)

أبرز مؤلفي القوش وخطاطيها :

القس عطايا الالقوشي وهو اشهر خطاطي عصره منتصف الالف السادس عشر

جيورجيوس الالقوشي وهو أديب ولغوي توفي سنة ١٧٠٠

المطران توما اردو مؤلف المعجم الكلداني الكبير ت١٩١٥

أشهر أديرة ألقوش دير الربان هرمزد الشهير مقر الطريكية القديمة ودير السيدة ناطرة الزرع ودير راهبات الدومنيكان الذي اسس سنة ١٩٠٢ .

من اشهر خانات القوش القديمة قبيل ظهور الحداثة في السكن الفندقي :

خان الدير وخان آل سعيد بك اليزيدي وخان آل دودا وخان كيزو والخان العلوي وخان آل زلفا الذي كان حسقيال زلفا يعالج فيه الخيول والحمير اضافة الى وضع الحدوات على حوافرها (النعلبند) وقدمات حسقيل وقسم الورثة الخان الى بيوت وواشترى الموسرون خان سعيد بك وبنوا مكانه قاعة دينية واجتماعية تعد ملكا لكنيسة القوش ز

يضع زرا جداول بالاسر الالقوشية التي تمتهن القصابة والبناء والحياكة (صناعة الملابس) والندافة وتقشير الحنطة (الدنوك الحجرية) حيث استخدم ت الصخور المنحوتة بطريقة فنية لتقشير الحنطة والسمسم ثم تحولت هذه المعل ميكانيكيا ثم استخدمت الطاقة الكهربائية منها معامل مندو من عائلة يفندا ومعمل آلكيزو ومعمل آل ميرا وآخر لآل صفارو اضافة لاسماء الاسر العاملة في صناعة الجص وكسوة الحيوانات والراشي وزيت الانارة والصفارون والمطاحن

في الستينات وزعت أراض سكنية باسعار مدعومة للناس وبنيت دور حديثة بدلا من الكهوف القديمة وتم تبليط الشوارع وزودت المدينة الحديثة بالمياه الصالحة للشرب بواسطة الانابيب

من طرائف القوش أن مغارة تومن الصغيرة قد سميت بهذا الاسم نسبة الى بصلة الثوم البري التي تنمو بكثرة في سفوح الجبل وحول المغارة وكان أهالي ألقوش (يقومون في موسم الربيع بجني الحاصل من البصلة والاوراق الخضراء لها وثرمها وتحشيتها داخل فصوص الجبن المحلي بعد سلقه .

تكثر في ألقوش العيون والآبار وتنفتح ساحات المدينة وقت الربيع لاحتفالات الشباب واعراسهم وسط أيام الحب والسعادة المرجاة للجميع ، ويستذكر (الشباب) ايام اعراسهم في تلك الايام الالقوشية الجميلة .

كيف تحول (خان مرجان) الى متحف للآثار العربية؟

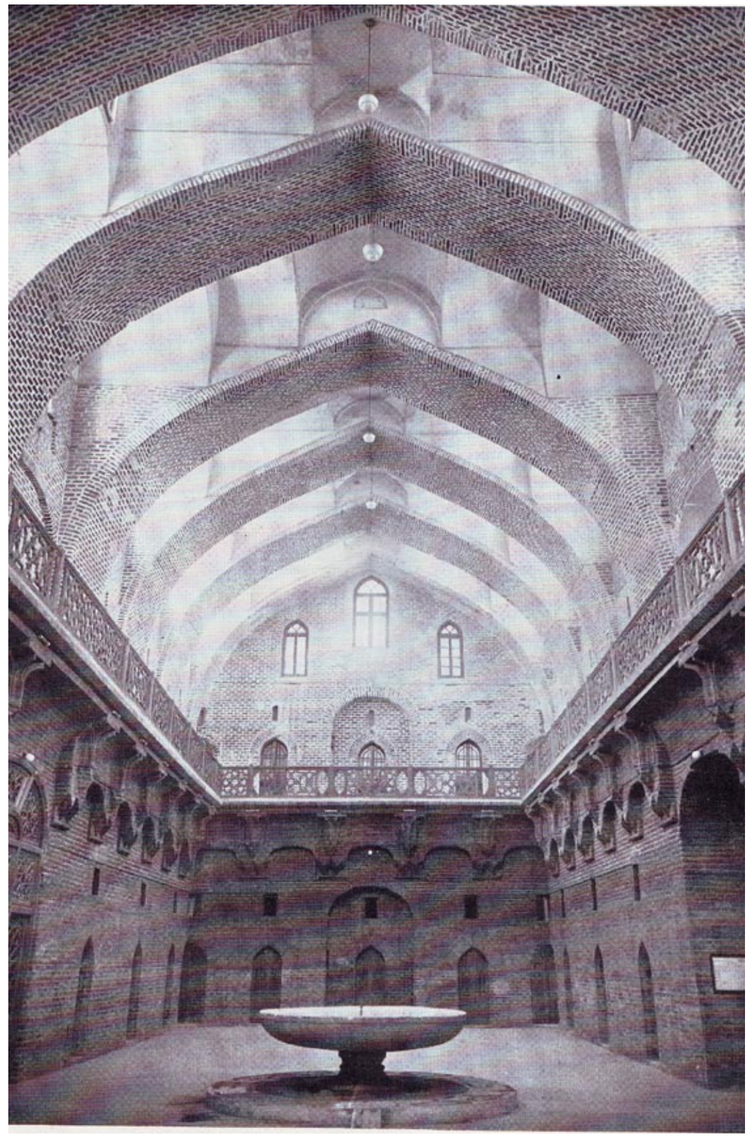

كان قد مضى على بدء تاسيس المتحف العراقي ردح من الزمن يناهز التسع سنوات ومحتوياته لا تتعدى حدود مخلفات الحضارات العراقية الخاصة بعصور ما قبل الاسلام. وقد يكون ذلك ناشئا عن اختصاص مديرية الاجانب يومئذ بتاريخ مدنيات تلك العصور فقط دون ان يكون لهم المام كاف بتاريخ الحضارة المغربية الاسلامية او رغبة محفزة للاشتغال بمخلفاتها، كم قد يكون ذلك متولدا ايضا عن دوافع ونزعات خاصة كانت تهيب بهم الى التقاعس وعدم الالتفات الى ضرورة وضع اسس القسم العربي الاسلامي من اقسام المتحف العراقي لينال نصيبه من النمو والتكامل الى جانب مخلفات الحضارات العراقية التي تسبق هذا الدور في القدم.

ومهما كان الامر، فان الحقيقة التي لا مراء فيها هي ان الرأي العام في القطر كله كان في السنوات الاخيرة من العقد الثالث من هذا القرن يتحسس تحسسا عميقا تجاه ضرورة المسارعة الى تكوين القسم العربي الاسلامي للمتحف العراقي، وكان يعبر عن شعوره هذا، الفينة بعد الفينة، عن طريق صحافته، وبواسطة انديته العلمية، وعلى الاخص من قبل عشرات الالوف من الزائرين الذين كانوا يقصدون زيارة المتحف في كل شهر.

ولما لم تجد مديرية الآثار القديمة التي كان على رأسها وقتئذ رجل المانى منجاة من تعرضها لغضبة الرأي العام على النحو المتقدم في غير الامتثال لمشيئته، عمدت في سنة ١٩٣١ لأول وهلة الى جمع بعض الآثار العربية التي عرضتها فيما بعد على الجمهور سنة ١٩٣٢ في احدى غرف بناية المتحف المركزي.

وكان توقف بذرة فرع الآثار العربية هذه عن النمو خلال السنين اللتين اعقبتا غرسها عن النمو المار الذكر، وحدوث بعض الحوادث في ساحة مصالح البلاد الاثرية، والتذمر الذي نجم اذ ذاك عن هذين العاملين في الاندية الادبية والعلمية في البلاد، قد خلق وضعا غريبا استوجب اعادة النظر في سنة ١٩٣٤ بصورة جوهرية في كيفية ادارة مديرية الآثار القديمة واخيرا اناطة مسؤولياتها بعهدة شخصية علمية وطنية، فكان هذا الانقلاب مدعاة لاستحسان محبي الآثار وذوي الاختصاص بشؤونها في داخل البلاد وخارجها، ومساعدا لدرجة كبيرة على صيانة العاديات الوطنية والمحافظة عليها سواء اكانت في مواقعها الاصلية ام بين جدران المتاحف.

ومنذ انطواء دور المديرين الاجانب على اثر عدد غير قليل من الحوادث المؤسفة، وايداع امر محافظة كنوز البلاد الاثرية الى عهدة عناصر وطنية في سنة ١٩٣٤ كما تقدم دخلت مديرية الآثار القديمة في دور حياة جديدة مليئة بالنشاط والفعالية، واخذت رغبة الرأي العام تتحقق بمقياس واسع للغاية، اذ اضحت معظم الجهود والوسائل التي كانت تحت تصرف هذه المديرية تستخدم بسخاء مشفوع بالاقتصاد والروية في سبيل جمع الآثار العربية من لدن تجار الآثار وغواتها الآخرين في داخل البلاد وخارجها عن طريق الشراء، وعن طريق المبادلة مع المتاحف الكائنة في الشرق العربي، وعن طريق استخراجها من بطون الاطلال بواسطة هيئات التنقيب الوطنية، فنمت بفضل ذلك كله، تلك الغرسة الموضوعة البحث خلال السنتين اللتين تلتا هذا التبدل، نموا لم يسبق له مثيل في تاريخ المتاحف، وصار من اجل ذلك لزاما على القائمين برعايتها ان يفكروا تفكيرا جديا في قضية ايجاد محل مناسب يكفي لايواء هذه الثروات الثمينة، ويضمن الامكنة الضرورية لتوسعها ليضع سنوات على الاقل في المستقبل.

نعم، جرى ذلك كله في الوقت الذي كانت مديرية الآثار فيه منشغلة باعمال صيانة بناية خان مرجان التاريخية التي شيدت في سنة ٧٦٠ هـ بامر من امين الدين مرجان حاكم بغداد على عهد السلطان اويس بن الشيخ حسن الايلخاني، والذي يعتبر اليوم من بين ابرز مباني القرن الثامن للهجرة لا في بغداد فحسب بل في بلدان الشرق العربي قاطبة.

بناية المتحف المركزي من مجاميع الطرف العربية القيمة، وتصنيفها وتنسقها وتعرضها بصورة اعجب بها كل من شهد حفلة افتتاح هذه الدار في الشهر الاخير من سنة ١٩٣٦ ومن زارها بعدئذ.

وتتألف ابرز التحف التي تضمها دار الاثار العربية اليوم من:

١. نماذج متنوعة من الافاريز الجصية البديعة التي صنعها فنانو القرن الثالث للهجرة ليزينوا بها دور مدينة لمعتصم بالله العباسي التي سماها بـ "سر من رأى".

٢. مجموعة منتقطعة النظير من بقايا المصنوعات الزجاجية والحجرية والفخارية والخشبية، التي كان يستعملها سكان سر من رأى، والتي كان لها الزواج الاكبر في تجارة الشرق الادنى يومئذ.

٣. مجموعة ثمينة من المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية تكاد تضم النقود المضروبة باسماء معظم الخلفاء الامويين والعباسيين، وملوك الطوائف، وعدد من السلاطين العثمانيين.

٤. مجموعة من الاواني الحجرية الغنية بالزخارف والكتابات والصور المختلفة التي تمثل بمنتهى الوضوح ما كان يستطيع عمله النحات العراقي في القرنين السابع والثامن للهجرة.

٥. مجموعة من المصنوعات الخشبية، تتألف من ابواب وصناديق قبور، كلها مزخرفة بانواع الزخارف والكتابات الكوفية التزيينية، من صنع نجاري العراق في القرن الخامس والسادس والسابع والثامن والثالث عشر للهجرة.

٦. مجموعة كبيرة من الزخارف الاجرية ذات النقوش والكتابات الجميلة التي انتجتها ايدي فناني هذا القطر في القرن السادس والسابع والثامن للهجرة.

٧. مجموعة من حبوب الماء الفخارية المزينة بزخارف نباتية وصور بشرية وحيوانية ناتئة، من صنع خزافي العراق في القرن السادس والسابع والثامن للهجرة.

٨. مجموعة من الاوانني الخزفية الجميلة المطلية بالمينا والمزينة بانواع الزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية، كلها من صنع فناني العرب خلال العصر الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر للميلاد.

٩. مجموعة من نماذج النسيج القديم المزين بالكتابات الكوفية.

١٠. مجموعة من النماذج الجبسية التي تمثل البعض من اشهر المباني التاريخية في العراق كقصر الاخيضر، والمسجد الجامع في سر من رأي، وجسر حربي المشيد بأمر من الخليفة المستنصر بالله العباسي.

١١. مجموعة نفيسة من المخطوطات المتنوعة المواضيع، الكثيرة الزخارف، والتي تتراوح تواريخها بين القرن الثامن والثالث عشر للهجرة.

ولهذه الدار دليل مفصل ومصور باللغة العربية، وتصاوير شمسية لاهم محتوياتها، في وسع زائريها اقتناء ما يريدونه منها بثمن زهيد من البواب المكلف ببيع بطاقات الدخول.

كتاب العراق
1939

قصة حياة عازفة البيانو العراقية

بياتريس اوهانيسيان

مع عائلتها وهي في السادسة من عمرها

ا لجميلة بغداد، بمبادرة من الاستاذ "شريف محيي الدين الحيدر" الذي اصبح رئيسا للقسم، وبمساعدة استاذين من رومانيا هما "جوليان هورتس" عازف البيانو، و"ساندو ألبو" عازف الكمان، وعندما طرق هذا الخبر سمع والدي بياتريس، قررا ان يعملا على ادخال ابنتهما الى المعهد، فاخذاها الى هناك.. وامام لجنة الفحص المتكونة من شريف محيي الدين الحيدر، والاستاذين الرومانيين، والاستاذ "حنا بطرس" سكرتير القسم، وقفت بياتريس ابنة الحادية عشرة مرتبكة لا تنطق بحرف.

اعترض اعضاء اللجنة على قبولها لصغر سنها، وافهموا والداها ان يأتي بها في الاعوام القادمة. غير ان الاستاذ "حنا بطرس" هو اول من قال.. (دعونا نسمع عزفها.. من يدري، قد تنجح..).

فجلست بياتريس امام البيانو.. وباصابعها الصغيرة الناعمة، عزفت قطعة كانت قد تمرنت عليها كثيرا.. ولم يتمالك الاستاذ جوليان هيرتس نفسه.. قفز من مقعده صائحا: (انها المعجزة.. طفلة غير عادية..). وتم قبولها في المعهد وكانت اصغر طالبة فيه.

تعتبر الاربعينات من التواريخ اللامعة في مسيرة معهد الفنون الجميلة.. فلقد تخرج فيه خيرة من الطلبة الذين يحتلون الان مقاعد مهمة وبارزة سواء في الفن او في نواحي الحياة الاخرى. فالعوائل البغدادية – وخاصة العوائل المعروفة – كانت ترسل ابناءها وبناتها الى المعهد لتعلم الموسيقى.. وبين الطلبة كانت توجد سيدات متزوجات يذهبن الى المعهد مع اطفالهن. والان، تستطيع ان تلقى في العراق اطباء وجراحين مشهورين، كانوا في الاربعينات من المع الطلبة في الموسيقى..

تتذكرهم بياتريس واحدا واحدا... ونعتقد انهم لو اكملوا طريق الفن، لكانوا الان من اكثر فناني العراق شهرة وعطاء..

كانت الدراسة في المعهد مساء. وكانت البناية تقع في "عقد النصارى" وبعد اشهر قليلة من انتماء بياتريس اليه، انتقلت الى منطقة البتاوين.

في ذلك الزمان، لم تكن وسائط النقل متوفرة كما هي عليه الان.. ومعظم الشوارع في بغداد لم تكن مبلطة بالقير. فكانت الطفلة مضطرة ان تذهب وتاتي مشيا على قدميها في اكثر الايام تحت وابل المطر وبرد الشتاء. موغلة في الطين والاوحال.. مسببة الازعاج لاخيها او والداها الذين كانا يرافقانها بالتناوب دائما من البيت الى المعهد ثم الذهاب ثانية للعودة بها.. كانت ليالي قاسية لشتاء بغداد، المدينة التي سترفع اسمها في المحافل الدولية مستقبلا.

في دار الاذاعة

العراقية..

الضوء الاحمر يعني ان تكوني مستعدة.. الضوء الاخضر يعني ان تبدأي بالعزف.. تعليمات المخرج للطفلة بياتريس اوهانيسيان.

عندما بدأت تعزف من "دار الاذاعة العراقية لاول مرة..

جاء طلب الى معهد الفنون الجميلة، بتقديم المع الطلبة فيه بعض المعزوفات من دار الاذاعة. ولم يتردد استاذها جوليان هيرتس من تقديمها... وكان البث حيا مباشرة.

استمع المستمع صوتا رخيما لآلة البيانو تعزف بعض المقطوعات لشوبان وبيتهوفن تقوم بعزفها طفلة تدعى بياتريس اوهانيسيان. ولم يدر بخلد هذا المستمع ان الطفلة كانت ترتجف من قمة رأسها الى اخمص قدميها من الخوف والرهبة داخل الاستديو، عندما كانت ترى الضوء الاحمر والاخضر ووجوه المخرجين ومهندسي الصوت من وراء الزجاج السميك..!!.

وتستطيع الان ان تقرأ في سجلات الاذاعة، ان طفلة تدعى بياتريس اوهانيسيان عزفت الكثير من المقطوعات لكبار المؤلفين ما بين عامي ١٩٤١-١٩٤٢.

في السنة الدراسية ١٩٤٦-١٩٤٧، تخرجت بياتريس اوهانيسيان في معهد الفنون الجميلة بدرجة ممتازة. وتعينت – كمستخدمة – في المعهد نفه لتريس العزف على آلة البيانو.

امام الجمهور.. لاول مرة..

خارج نطاق الحفلات الصغيرة التي كانت تقام في اروقة المعهد، وخارج نطاق ما قدمت من دار الاذاعة العراقية.. لم يسبق لبياتريس اوهانيسيان ان اوقفت امام الجمهور في حفلة رسمية، تديرها وحدها.. وانتها دعوة من المعهد الثقافي البريطاني في بغداد لتقديم حفلة موسيقية لمدة ساعتين.. ولم تتردد. انها فرصتها لتجرب نفسها في احتكاك مباشر مع الجمهور..

كانت قاعة المعهد فسيحة، امتلأت بالجمهور العراقي والاجنبي من بداية المسرح الى ما وراء الباب الرئيس..

وبكل ثقة بدأت اناملها الذهبية تتحرك على المفاتيح السوداء.. منتزعة منها الحانا لم يصدق الجمهور انها تصدر عن انامل شابة عراقية تقف امامهم لاول مرة..!.

مجلة الاذاعة والتلفزيون
اذار 1975

قد ترتعش من البرد.. من الخوف.. من حالة نفسية عصبية، ولكن الرعشة التي تنتابك وانت تستمع الى عزف بياتريس اوهانيسيان هي رعشة من نوع آخر.. منعشة، لطيفة، يهتز لها كل كيانك.. وتشعر كانك فوق بساط من الزهور تصعد الى الاعالي.. الى اللانهاية.

الاسابع الناعمة تتقافز الواحد تلو الآخر على مفاتيح آلة البيانو البيضاء والسوداء، متداخلة مع بعضها، حتى انك تشك انها ستقع في مصيدة مكونة عقدة مستعصية ولكنها سرعان ما تنفك لتنثر هنا او هناك نقرات صغيرة ناعمة اشبه ما تكون بقطرات الرذاذ عندما تتساقط على اوراق الاشجار.. تعقبها ضربة جبارة ساحبة اصبعها من بداية المفاتيح كانها الرعد القاصف..؟!.

هل شعرت يوما بالتلاشي وانت تقف امام "شيء" اكبر منك آلا ف المرات؟!!!.

تعود الحكاية بنا الى ازقة بغداد القديمة، في الربع الثاني من هذا القرن، عندما ازدانت دار السيد والسيدة "اوهانيسيان" بطفلة جميلة، جاءت بعد ابنهما البكر "أرشاه".. وتم تعميدها باسم "بياتريس".

وكانت في المهد عندما تطرق الى اذنيها صوت الموسيقى.. فامها كانت تجيد العزف على آلة الماندولين. وابوها المحاسب في احدى شركات النفط وعازف "الفلوت" عضو في فرقة موسيقية من الهواة.. واخوها الذي يكبرها عدة سنوات، اخذ يتجه هذا الاتجاه. وبدأ يتعلم العزف على آلة الكمان.

عاشت بياتريس طفولة سعيدة، في جو عائلي بهيج، متوسط الحال، خاصة بعد مجيء الطفل الثالث، وكانت بيتا، سميت بـ "سيتا".

في مدرسة الراهبات:

الام هي المدرسة الاولى لتربية الابناء، ولأم بياتريس تاثير كبير على حياتها الموسيقية.. إذ سرعان ما لاحظت، مع زوجها، ميل الابنة الى الموسيقى وحفظها للاغاني والالحان بسرعة مذهلة..

وكانت قد اصبحت في الخامسة من عمرها وبدأ التفكير في ادخالها الى المدرسة.. وكان لابد من الاختيار الجيد، اذ لابد ان يقع الاختيار على مدرسة تعطي حصصا في الموسيقى اضافة الى الحصص التعليمية الاخرى.. فوقع الاختيار على مدرسة "الراهبات" في منطقة "عقد النصارى" ببغداد.

فاخذتها الام من يدها، ووقفت امام "الأم" الكبيرة، ترجوها في ان تكون ابنتها ضمن الطالبات اللواتي يتلقين الدروس الموسيقية، وبعد اطلاع الراهبات على اذنها الموسيقية المرهفة، تم قبولها.. وكانت اصغر طفلة تقبل في حصة الموسيقى.

وبدأت بياتريس، وهي طفلة في الخامسة من عمرها، تتعلم دروس العزف على آلة البيانو. الآلة التي سترافقها في رحلة عمرها الفني.. في تلك السنين البعيدة، من سنوات بغداد القديمة، لم تكن في بيوتها اجهزة التسجيل او الراديو كما هي الحال الان.. والسعيد الغني الذي كان يملك جهاز الكرامافون" باسطواناته الضخمة وبوقه الكبير، وكان بيت السيد اوهانيسيان يخلو من هذا الجهاز ايضا.. ومن آلة البيانو. آلة بياتريس المفضلة، فكانت الطفلة مضطرة الى ان تسمع الموسيقى في المدرسة فقط، وان تحفظها عن ظهر قلب، كي تكون جاهزة في اليوم التالي لتقديم ما تعلمته الى المعلمة الراهبة.

وبعد ثلاث سنوات، بعد ان رأى الوالدان تقدم ابنتهما السريع في العزف وشدة ميلها الى هذه الآلة، قررا ان يشتريا لها آلة مهما كلفهما الامر. وبعد بحث طويل. سمعا بوجود الآلة في احد المحلات.. فاشتريا بمبلغ ثلاثين دينارا.. وهو مبلغ ضخم بحساب تلك الايام، اقتطعه الوالد من راتبه الضئيل، ومن افواه اسرته.. ولايمكن وصف سعادة بياتريس عندما رأت البيانو يدخل الدار ويأخذ مكانا بارزا فيها.. بامكانها الان ان تحضر دروسها الموسيقية في البيت، وتقوم بالتمارين وقتما تشاء.

في معهد الفنون الجميلة..

في بدايات عام ١٩٤٠، تم فتح قسم الموسيقى الغربية "الكلاسيكية" في معهد الفنون

مع اخيها في لندن عام ١٩٥٣

مفكرة موجزة
لإسالة الماء في بغداد في الثلاثينيات وما قبلها

ان لجنة اسالة الماء لمنطقة بغاد استلمت مشروع اسالة الماء في بغداد من امانة العاصمة الذي كان مؤلفا من بقايا التأسيسات التي بدأ فيها الاتراك منذ عام ١٨٩٥ ومن هذا الجهاز استورث الجيش الاحتلالي من الحكومة التركية عددا من مراكز الضخ الصغار مع انابيبها الرئيسية والتوزيعية وليس لها خارطة تدل على خطوطها وهي مختلفة الجنس ورديئة الارتباط ومعظمها مملوء بالرواسب وغير كاف بالمرة لتجهيز الماء الى البلدة وكان قد اجرى على المشروع بعض التحسينات منذ سنة ١٩١٧ ففي سنة ١٩٢٠ ابتكر مشروع جديد واسع النطاق وشرع به غير انه لم يتم منه الشيء الكافي لتحقيق الاماني الجوهرية المنتظرة من هذه التحسينات وعلى هذا تكرر درس هذه المسالة في عام ١٩٢٣ وبعد الدرس تشكلت لجنة اسالة الماء لمنطقة بغداد في اول سنة ١٩٢٤ عندما رأت الحكومة رداءة المشروع وضرورة تحسينه وتأمين الحصول على مياه صافية وصحية للاهالي – وبعد ان استقرضت اللجنة مبلغا من الحكومة باشرت بتحسين المشروع وتوسيع شبكة الانابيب الرئيسية في مختلف انحاء المدينة وتزييد ضغط الماء وساعات تجهيزه.

وفي سنة ١٩٢٧ اشترت اللجنة – بناء على طلب وزارة الاقتصاد والمواصلات – مركز التصفية الكائن في منطقة الكرادة من القوة الجوية البريطانية وفي سنة ١٩٣٠ اسست اللجنة مركز التصفية في جانب الكرخ في منتصف طريق بغداد – كاظمية لتجهيز الماء المصفى منه لمنطقتي الكرخ والكاظمية. ان المركز المذكور كان قد انشيء على احدث طراز وبامكانة تصفية ١,٥٠٠,٠٠٠ كانون من الماء يوميا وبعد ان تم انشاؤه افتتحه صاحب الجلالة سلكن الجنان المرحوم الملك فيصل الاول ولتوسع منطقة الكرخ وكثرة الطلبات اضطرت اللجنة الى توسيع المركز المذكور وفي سنة ١٩٣٨ تم توسيعه واصبح بامكانه ان يجهز ضعف الكمية السابقة من الماء المصفى اي ٢,٥٠٠,٠٠٠ كالون من الماء يوميا.

ان مركز ماء الصرافية الذي يمون مدينة بغداد (جانب الرصافة) بالرغم من التحسنات التي اجريت فيه لم يكن مركزا حديثا لعدم وجود مصاف للماء الذي يجهز منه، وفي سنة ١٩٣٥ قررت اللجنة القيام بتحسين المركز المذكور وجعله مركزا من الطراز الحديث وبعد ان صرفت عليه ما يقارب الـ ٣٠,٠٠٠ دينار للمصافي وحياض الترسيب اصبح بامكانه تجهيز ما يقارب الـ ٦,٠٠٠,٠٠٠ كالون من الماء المصفى والنقي يوميا وبعد الانتهاء من المشروع افتتحه صاحب الجلالة المغفور له الملك غازي الاول.

وفي ابتداء سنة ١٩٣٩ رأت الحكومة تامينا لراحة سكان الاعظمية فسخ امتياز مشروع الماء في الاعظمية لعدم قيام صاحبه بالواجب الملقى عليه فقررت فسخ الامتياز وعهدت الى اللجنة امر تجهيز الماء الى منطقة الاعظمية وباشرت اللجنة بتجهيز الماء النقي والمصفى الى المنطقة المذكورة منذ اول نيسان سنة ١٩٣٩ بعد ان دفعت ثمن المشروع البالغ ١٠,٧٠٠ دينار الى صاحبه السابق.

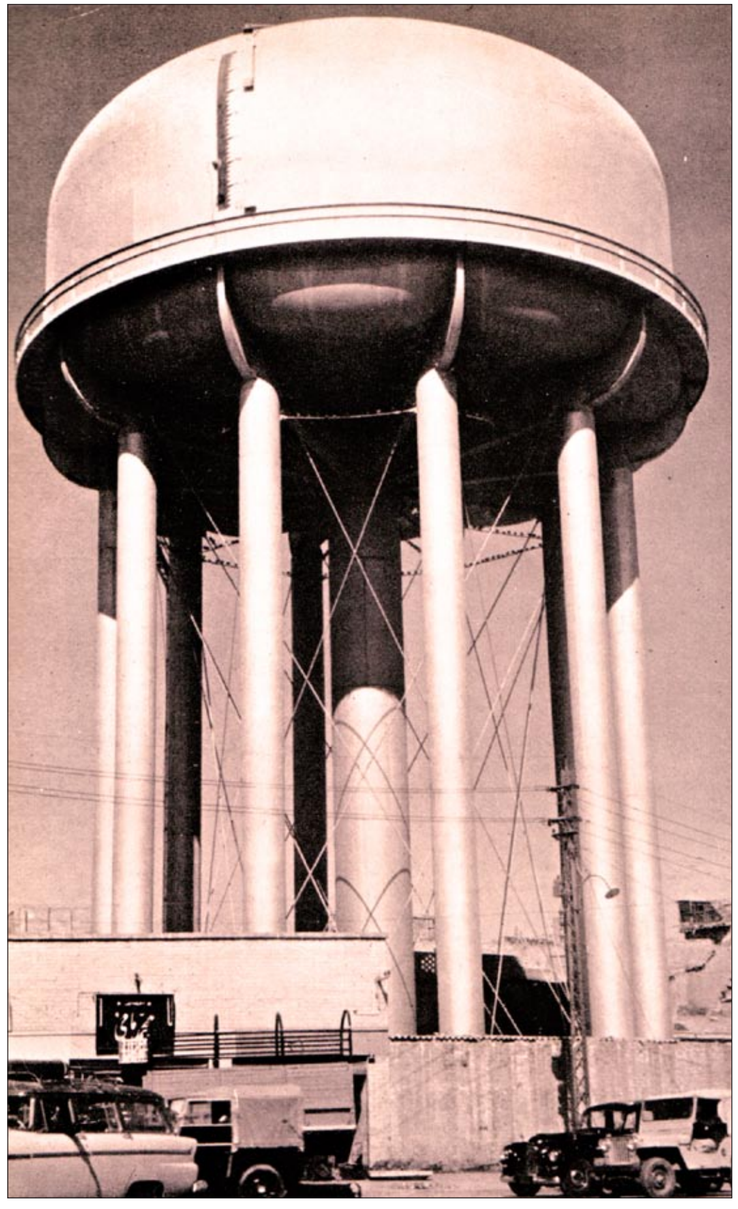

مشروع اسالة الماء في بغداد منذ تأسيسه الى منتهى سنة 1939

كمية الماء:

فيما يلي معدل كمية الماء المجهزة يوميا منذ عام ١٩١٤:

من عام ١٩١٤ (٦٠٠,٠٠٠) كالون يوميا
من عام ١٩٢٠ (١,٤٨٠,٠٠٠) كالون يوميا.
من عام ١٩٢٢ (١,٦٢٠,٠٠٠) كالون يوميا
من عام ١٩٢٤ (٢,٠٦٠,٠٠٠) كالون يوميا
من عام ١٩٢٥ (٢,٠٢٠٠,٠٠٠) كالون يوميا
من عام ١٩٢٦ (٢,٧٥٠,٠٠٠) كالون يوميا.
من عام ١٩٢٧ (٣,٠٨٧,٠٠٠) كالون يوميا.

وزادت كمية الماء المجهز بالنسبة الانفة الذكر الى اصبحت خلال عام ١٩٣٩ (٧,٥٠٠,٠٠٠) كالون يوميا .

المشتركون:

وحيث ان كمية الماء المستهلكة زادت اضعاف ما كانت عليها فقد زاد عدد المشتركين باخذ الماء بتلك النسبة واصبح عددهم ما يقارب الـ (٢٥,٠٠٠) مشترك خلال عام ١٩٣٩ بعد ان كان (٤٠٠٠) مشترك في سنة ١٩٢٤.

الانابيب الرئيسية:

هذا وقد تضاعف طول الانابيب الرئيسية المتدة في شوارع المدينة واصبح اكثر من (٣٠٠) كليومتر بعد ان كان طولها اقل من (٢٧٠) كيلو مترا في سنة ١٩٢٤. فاللجنة رغبة منها في مساعدة المشتركين وخاصة الطبقة الفقيرة منها باشرت منذ عام ١٩٣٧ في تحمل نفقة تمديد الانابيب الفرعية وايصالها الى محل المشترك وكذلك في تحمل كلفة اعادة التبليط الذي يفتح من جراء تمديد الانابيب الفرعية المذكورة.

وحيث ان هناك مشتركين كثيرين لا يسعهم الاشتراك بالماء لعدم تمكنهم من دفع بدلات الاشتراك فقد قررت اللجنة تخفيض البدلات بنسبة ٣٣ بالمائة لكل مشترك معفو عن دفع ضريبة الملك.

وفيما يلي البدلات المقطوعة التي تستوفي من المشتركين:

١٠٠ فلس شهريا عن الدور الفقيرة.
١٥٠ فلسا شهريا عن الدور الصغيرة
١٨٠ و ٢٢٥ فلسا شهريا عن الدور المتوسطة
٢٧٠ و ٣٦٠ و ٤٥٠ فلسا شهريا عن الدور الواسعة.

اما اسعار الماء المجهز بالمقياس فكما يلي:

٩ فلوس لكل متر مكعب من الماء للمشتركين الذي يصرفون ٦٠ مترا مكعبا شهريا.
٨ فلوس لكل متر مكعب من الماء للمشتركين الذين يصرفون اكثرمن ٦٠ مترا مكعبا شهريا.

ماء الحدائق:

ان اللجنة بالاضافة الى ما تقوم به قبل عدة سنوات من الاعمال لتأمين مياه الشرب للاهلين في منطقتها التفتت الى عملية تجهيز الماء الخام للدور التي انشئت مؤخرا في ضواحي المدينة وقد تم ايصال الماء لارواء حدائق تبلغ مساحتها ٣٠٥,٠٠٠ متر مربع في المحلات التالية:

شارع الملك فيصل والكريمات، كرادة مريم في الكرخ، محلة البو شجاع ورخيته، كرد الباشا، ابو قلام، بستان الشيخلي في الكرادة مع جميع المنطقة الكائنة بين باب المعظم والاعظمية.

وبلغ طول الانابيب الرئيسية المتدة لهذا المشروع ما يقارب الـ ٣٠ كيلومترا .

نقاوة الماء وتصفيته:

ثبت علميا ان مياه الانهر ملوثة بالجراثيم وغير نقية وذلك لجريانها في اراضي تكون فيها عرضة للتلوث ولكن درجة تلوثها بالجراثيم تختلف حسب الاماكن التي تمر بها هذه الانهر – اما نهر دجلة الذي يمر بالعاصمة فان مقدار الجراثيم فيه من عشرة الاف الى ٣٠ الف جرثومة في السنتمتر المكعب وذلك عند بدء جريانه فيها اما في منتصف المدينة اي قرب شاطيء (السيد سلطان علي) فتصبح مقدار الجراثيم فيه ٥٠٠ الف جرثومة في السنتمتر المكعب ولكن في نهاية المدينة اي في الكرادة تبلغ كمية الجراثيم فيه من ٥٠ الى ١٢٠ الف جرثومة في السنتمتر المكعب وهذا النقص ناتج عن تاثير الشمس المحرقة من جهة وتاثير الجراثيم بعضها على بعض من الجهة الاخرى، فلا يجوز والحالة هذه استعمال مياه الانهر للشرب الا بعد ان تجري عليها عمليات خاصة تجعلها صالحة لذلك واحسن تلك العمليات هي طريقة التصفية للماء – اما عملية تصفية الماء في بغداد فتجري كما يلي:

يؤخذ الماء من النهر بواسطة مضخة ذات ضغط واطيء الى حياض الترسيب حيث يمزج فيه مادة محلول الشب ويرسب هناك وبهذه العملية ترسب مئات الاطنان من الاتربة العالقة فيه اما كمية ما يرسب في موسم الفيضان فتبلغ (١٨) طنا يوميا في الايام التيكون فيها مستوى النهر اعتياديا فتبلغ كمية الترسبات اربعة اطنان يوميا وجميع هذه الرواسب تذهب مرة ثانية الى النهر بواسطة مجار خاصة ثم تذهب المياه الصافية والتي تحوي شيئا قليلا من المواد الخفيفة العالقة بها بواسطة مضخة ذات ضغط عال الى المصافي وتمر خلال الرمل والحصى فتترك المواد الخفيفة العالقة هناك وتخرج من المصفى ولا اثر لتلك الترسبات فيها ومن ثم تعقم بواسطة غاز الكلورين بنسبة ٠,٥ قسم لكل مليون قسم من الماء.

تؤخذ نماذج من المياه مرتين في الاسبوع من مختلف الجهات لأجل المقارنة بين النقاوة ومجموع ما يؤخذ من النماذج (١٥٦٠) انموذجا في السنة والجدول الاتي بين نسبة النقاوة بين مياه اللجنة الموزعة الى المشتركين وبين المياه المصفاة قبل التعقيم وبين مياه الانهر.

نشرة (العراق الجديد) مديرية الدعاية العامة

1940

صفحة من مذكرات السيد حسين كمال الدين 1920

كامل سلمان الجبوري

عندما اعلنت جريدة العراق في عددها الصادر بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ٩٢٨ ما اعلنته انكلترا وفرنسا بحرية الاختيار للبلاد المنسلخة من الحكومة التركية المعلن في لندن وباريس في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨.

بدأ النجفيون يفكرون في القضية وهم السيد سعيد كمال الدين والسيد حسين والسيد سعد والسيد احمد الصافي ومحمد علي كمال الدين وذلك في طريق الخط الحديدي، وفكروا تمليك احد انجال الشريف حسين المرجح عبد الله لأن فيصلا يرشح الى سورية، ومحّصوا الرأي بعد مناقشته وانه لا يمكن تمليك عراقي على البلاد، وان تكون الحكومة ملكية لا جمهورية، لان هذه لا تصلح الا لشعب راق.

عند عشرين من تشرين الاول ١٩٢٠ فاوضت حكومة النجف بعض النجفيين واخبرتهم بمجيء لسن في ٢٥ منه للاستفتاء، فكان هذا محرّض للعمل والاعلان بذلك امام النجفيين، وكان هذا واسطة للتفاهم بين ثلاث عائلات: آل كمال الدين، آل الجزائري، وآل السيد الصافي. وصادف اجتماع السيد رضا السيد صافي بالسيد علوان الياسري في سراي ابو صخير في اشغال خصوصية معرقلة لدى الحكومة فجر الى التفاهم بوجود اناس يشتغلون لقضية استقلال العراق وطرد الانكليز، وطلب السيد علوان الاجتماع بهم بمناسبة الاستفتاء المزعوم. لأول مرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨ اجتمعوا للتعارف في بيت السيد رضا السيد صافي وكان واسطة التعارف السيد رضا بحضور الشيخ عبدالكريم الجزائري وكان السيد سعيد قد ضم الى جماعة الشيخ محمد رضا الشبيبي صديقه القديم فتعارف هؤلاء وتصارحوا في العمل لاحباط الاستفتاء ووضعوا الخطة المستعجلة، وكان السيد حسين كما الدين والسيد سعد والسيد احمد في غرفة اخرى، واخبرهم انه سيتفاهم مع جماعته زعماء المشخاب والرميثة وعفك.

وقبل يوم الاستفتاء تقاطر الزعماء الى النجف فباشر السيد علوان في التفاهم مع زعماء العشائر، وباشر الحزب النجفي يعمل مع النجفيين الحضر، والخلاصة اصبحوا يعملون متساندين متفاهمين وانفقوا على ان يصرحوا بما يريدون.

وهنا يحل دور مصطفى خرمة السوري وهو معاون الحاكم السياسي بالنجف، فقد تقابل مع السيد سعيد كمال الدين في برية النجف وتفاهم معه، واخبره بما دبر الانكليز لا ستفتاء ، وانه يصل ولسن في يوم ٢٥ منه.

فيخطب ويترجم حميد خان ويتكلم بالموافقة السيد هادي النقيب و... وقد حمل السيد سعيد هذا الى حزبه وعملوا على تحطيم هذا العمل بما اوتوا من قوة وقرروا ان يرد على النقيب السيد علوان الياسري فكان ذلك تماما، واقترح السيد علوان ان تعطى الفرصة للمداولة بين الناس ومراجعة العلماء في الامر، فتاجل الاستفتاء ليوم آخر. وكان عرض ولسن يتضمن ثلاثة اسئلة:

١- هل تختارون للعراق حكومة مستقلة؟

٢- وهل تنتخبون ملكا؟

٣- من هو هذا الملك؟

في يوم ٢٦ منه عقد اجتماع الاستفتاء في بيت الشيخ جواد الجواهري فضم جمعا غفيرا من اكابر النجفيين واعيانها وجمعا من زعماء الشامية، وكانت جلسة المشايعين للانكليز على يمين الشيخ جواد والاخرين على اليسار، فاقترح الشيخ جواد ان يبدأ باليمين لليمن فبدأ باربعة من الافاضل يقلبون بعلماء (الافيز) فاعطوا رأيهم بانتخاب كوكس والحكومة البريطانية وكان الحزب موفدا من قبله الشيخ محمد رضا والسيد حسين كمال الدين فعارض الاخير في هذا الترتيب ونادي باعلى صوته: هذا الترتيب غير صحيحن ولا بد ان يبدأ الاستفتاء من اليسار، فهنا زعماء القبائل وهم يمثلون الاكثرية بخلاف غيرهم، فغضب الشيخ جواد ولكن السيد حسين اصر قائلا ان كان اليمن في اليمن فاليسر في اليسار، فرضخوا لرايه وبدأ بعبد الواحد فوقف هذا وخطب بلسانه مبينا ضرورة اختيار حكومة اسلامية عراقية وان يكون عبد الله، وعند ختامه نادى السيد حسين كمال الدين رأي الواحد الواحد فصفق المنتمون للحزب وصفق الحضور ففشل الانكليز، وعندها جرت المداولات السرية مع الشيخ جواد في تدبير الفشل فاعلن ان الافضل ان يكون الاجتماع في بيت الشيخ علي كاشف الغطاء لانه البيت الكبير والموعد غدا عصرا. اجتمع الحزب وشكر السيد حسين على عمله وانب الشيخ محمد رضا على احجامه وقرر ان يحضر هو والسيد سعيد في الاجتماع الجديد على ان يتكلم في الموضوع ويجهر برأي حزبه ويبرهن عليه، فكان ذلك واصطدم مع الشيخ علي كاشف الغطاء، ولكن الحزب فاز لحيازته الاكثرية.

اضطر الانكليز ان يعملوا تدابير اخرى، فقرروا فصل استفتاء النجف عن العشاير على ان يكون لهؤلاء في الكوفة.

عمل النجفيون على استفتائهم فكان يتضمن الجواب على الاسئلة الثلاثة وذلك في اجتماع عقد في بيت محسن شلاش بايعاز من الانكليز. وهذه المرة اول مرة يشترك فيها محسن شلاش بالاعمال الوطنية وقد واصلها منذ ذلك الحين، ولكن الانكليز رفضول الجواب لتضمنه امورا كثيرا تخالف مصالح الانكليز واضافوا سؤالا رابعا: هل الموصل جزء من العراق؟ فاجاب الانكليز على الاسئلة الاربعة من جديد كما رد عليها العشائر بعين الصورة ولم تقدم الا بعد مدة. وبعد ان راجعوا السيد كاظم الحسني ياخذون رأيه في القضية فسوفهم هذا واصر، وراجعوه في الكوفة والنجف، والحزب ادرك انه يكذب عليهم، فعمل على ايجاد سوء التفاهم، فكان ان ترك السيد نور الصلاة وراء السيد كاظم، وآمن بعضهم ان السيد كاظم ليس كما يقال فيه من الصلاح.

وعندها صمم وتفاهم الحزب والسيد علوان على ان ينجروا علما، فاختار الحزب الشيخ محمد تقي الحائري في سامراء، وكلفوا الجزائري والسيد علوان ان يكتبوا لابنه استعداد الناس لتقليده، وكتب الحزب (٤٠٠) كتاب مزورة مضمونها ان اصحابها عدلوا عن السيد كاظم وقلدوه.

هذا النص قدمه السيد بديع الخاقاني الى متحف ثورة العشرين في النجف فحققه الاستاذ الجبوري ونشره عام 1987

من اوراق عبد الحميد الرشودي

قدم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي مجموعة من مقالاته عن عدد من الشخصيات الادبية والصحفية والسياسية او عن بعض الاحداث الطريفة التي عرف اسرارها او تعليقاته على بعض المؤلفات التي تعنى بتاريخنا الفكري الحديث، ونعيد نشر هذه المجموعة تباعا في ملحقنا (ذاكرة عراقية).

بعد نصف قرن

اعترافات احمد حامد الصراف!

اغضبت الزهاوي في حياته وأساءت اليه قبل مماته!

الملجس الذي شهد المصالحة

احمد حامد الصراف

حين انتقل المرحوم جميل صدقي الزهاوي شاعر بغداد وفيلسوفها الى رحمة الله في الثالث والعشرين من شباط ١٩٣٦، كان تلميذه ومريده المرحوم احمد حامد الصراف حاكما في البصرة. فحرم من وداع شيخه والسير وراء نعشه والوقوف على قبره في ساعة الوداع الابدي، فالمه ذلك وهاجت في نفسه خواطر وهواجس كانت كامنة. فارقت ليله، وكتب رسالة الى صديقه واستاذه المرحوم محمود صبحي الدفتري يشكو اليه فيها حزنه بيئه لوعته على فراق استاذه الزهاوي، وحرمانه من القاء النظرة الاخيرة عليه. وقد افضى الصراف في هذه الرسالة الى الدفتري بمكنونات نفسه. وباح باسراره، واعترف بانه كان قد سبب كثيرا من القصص والمنغصات للزهاوي.

× وقد اعلن ندمه واسفه على ما فرط منه في جنب شيخه الزهاوي، فجاءت رسالته وكانها رسالة استغفار وانابة عما بدر منه في تلك السنين الخوالي، وعزا ذلك الى طيش الشباب ونزواته، لقد جلس الصراف على كرسي الاعتراف وانتصب من نفسه لشيخه، والرجل، كل الرجل، من انتصب من نفسه لغريمه، واقر بفضل خصمه قبل ان ينتصف منه!

× ونحن اذ ننشر هذه الرسالة التي مضى عليها اكثر من ثمانين سنة، نامل ان تكون تحية وتكرمة لذكراه، عابسة من غير ان يشعر بها احد، كان لم يكن صاحبها الى الامس القريب ملء السمع والبصر، فالى ارواح الصراف والدفتري والزهاوي الرحمة والرضوان.

× البصرة ٢٩ شباط سنة ١٩٣٦

× اخي الكبير النبيل الودود

اعلن ان الموت منهل بردء كل حي، واعلم ان الانسان وان عمر ما شاء الله ان يعمر لابد ان يرقد في الاخير في ملحودة تضمه بين جنبيها، فيصبح بعد قليل كومة عظام لا تلبث ان تستحيل الى تراب تدوسه اقدام البشر وسنابك الخيل، وانه من العبث ان يبكي الانسان وان يكثر الاعوال اذ ان لكل بداية نهاية. والزهاوي، غمره الله بنوره، عمر طويلا وعاش جليلا، وقد نضبت كاسه وانقضى اجله فمات كما الذين عاشوا من قبله. كل ذلك اعرفه واعلمه علم اليقين، ولكن ايدري مولاي ان نعي الزهاوي احدث في انفعالات شديدة في النفس. واضطرابات قوية في العاطفة، وهزات عنيفة في الجوانح، حتى لقد استحقرت الدمعة والزفرة واستصغرت الانة والحسرة عليه.

ماتت امي فحزنت عليها، ومازلت حزينا عليها، وكنت اتسلى بانني خدمتها ووفيت حقها وقمت بالواجب المحتم علي احسن قيام.

ومات الزهاوي فحزنت حزنا فيه مرارة وفيه خجل، حتى لكأنني شعرت بان كل شيء في الدنيا يؤنبني ويؤلمني ويؤذيني، وان السماء غاضبة علي، وان في العالم صيحة تدوي في الحقد علي، ذلك لانني لم اخدم الزهاوي ولم اوفه حقه تماما.

الان شعرت باللطمة الشديدة، الان شعرت بالجرم الذي ارتكبته، الان احسست بالخطأ الذي اقترفته، انني اغضبت الزهاوي في حياته، وبذلك اسأت اليه وقد ندمت على ما فعلت. انا الان ابكي واعض انامليَّ واضرب يدا بيد فقد ندمت على ايذاء الشيخ، ولكن الله يشهد بانني لم اتقصد الاساءة، ولم اتعمد الايذاء، وانما كانت ظروف واسباب وبدوات ونزوات للشباب.

تمر على عيني صفحة تتلوها صفحة من ذكريات تلك الايام. وفيها من المتناقضات والمسرات والمحزنات ما تشجي وتهيج، هذا عام ١٩٢٣، وهذا الزهاوي على اتانه وفي يده هراوته الغليظة، وهذا الصراف الشاب الناحل المكمود اللون يمشي على اقدامه، ويجانبه، محمد، الخادم وقد حمل "روايات" اشتراها الاستاذ ليقرأها.

"ابني احمد لنذهب الى قهوة الشط.

– كما تحب يا استاذ

– استاذ اليوم قرأت قصيدة لابن معتوق الموسوي مطلعها:

خفرت بسيف الغنج ذمة بغفري

وفرت برمح الغد درع تصبري

فيتجعد وجه الاستاذ وتبدو عليه الغضون كسطور خطتها يد الدهر، ابتي لا تقرأ هذا الشعر، لان فيه مبالغات واكاذيب، واحسن الشعر اصدقه لا كما قيل اعذبه اكذبه".

، ومحمود احمد، والصراف. اسمعنا يا استاذ من شعرك، افندم نظمت قصيدة طلبوها من امريكا، فيتلو الشيخ قصيدته متصفحا الوجوه ومتفرسا في اساريرها فيكثر الهتاف والاستحسان ثم يلتفت اليه الدفتري.

يا استاذ انت راض عن احمد. افندم احمد مثل ابني له مستقبل زاهر فيرد عليه احمد: استاذي، مستقبل وليد اثرك وتعليمك، واذا ازهر او ازدهر مستقبلي فهو حافل بما ترك وجلائل الاتك.

ثم تمر الشهور فيوسوس ابليس لرفائيل فيحدث زوبعة من النقد فيثور الزهاوي، ويالله اذا ثار فيصدر الزهاوي "الاصابة" ويهجو رفائيل "باللاطمة والصاعقة".

وينزل الصراف الى الميدان ويخوض المعمعة فيشتم ويُشتم. ثم تهدأ العاصفة، وتمر الايام فيلتقي رفائيل بالصراف فيتصافحان ويقبل احدهما الاخر، فيسمع الشيخ فيغضب ويهجر محبه وتلميذه. افندم الصراف يبوس رفائيل، ثم يرضى الاستاذ وتنطوي تلك الصحفة فتصبح كالطيف في عالم الخيال ابني لقد كافتني في شيخوختي جزاك الله عني خير الجزاء انا راض عنك الله يرضى عنك، فيقبل التلميذ يد استاذه، يا استاذ هذا واجبي.

ايه أستاذ حسبي من دنياي ان تموت وانت راضي عني فرضاه الاستاذ على تلميذه من رضاء الله.

لقد شرفك الله ففقهت بلسان نبيه الاعظم، وعظمك الله فاديك بلغة رسوله الاكرم، فانت حسيب رسول الله، وحسيب قرآنه وبيانه.

هذه دمعتي وتلك لوعتي، وهما أيتا حزني وأسفي عليك، وحق لدجلة والفرات موطن الكماة الاباة ان ينشجا عليك نشيجا، وان يتجاوبا نحيبا، فقد انقطع النشيد ومسكت البلبل الغريد.

لن انسى يا استاذ ذكرك وشعرك، ولن انسى لطفك وعطفك وحبك وشفقتك، ولئن اساء اليك ابراهيم وبطي والاثري ومحمود احمد والصراف، فانهم سيكفرون عن ذنوبهم بالاشادة في ذكرك وتخليد اسمك، وسيبقى المجلس الذي قلت فيه.

جمع الاديب الحر صبحي شملنا

في داره اكرم بها من دار

حزينا عليك، وسيبقى صاحبه كئيبا عليك.

الى النور، الى رحمة الله، الى الخلود يا حسيب رسول الله.

اخي الكبير هذه كلمة كتبتها في الليل وارسلتها اليك

محبكم المخلص

الصراف

ثم يندفع الاستاذ فيلقن تلميذه اساليب الادب، وبعد ساعة يمتطي اتانه والصراف الفتى يتبع اثرها وهي تمشي الخيلاء كالطاووس راضية مسرورة بان تحمل ذلك المرعب المخيف اذا غضب، والخفيف اللطيف اذا رضي، فتوصله الى الدار المباركة. مع السلامة، ابني تعال العصر ونروح الى باب الشرجي (الشرقي).

وهذا شتاء عام ١٩٢٧، وهذا صالون الدفتري وقد جاء الحكيم دار الدفتري يوم الجمعة وتصدر المجلس وهو حانق على الصراف. واجد عليه لانه كتب مالا يرضيه.

اذا جاء احمد الصراف فاني طالع ما (اكعد) ثم يأتي الصراف فيهم الزهاوي بالخروج، فيخرج الصراف من الدار على رغم انفه وهو يتعثر باذيال الخجل، فيناديه صبحي بك الدفتري، شوف احمد لا تزعل، الزهاوي صاير شوية عصبي، وانا احاول ارضاءه، ثم يرجع الدفتري الى المجلس، يا استاذ احمد مثل ابنك، يا ابني هذا ما يصير له جاره هذا ما يفهم شيء أفندم عجن ايدي وخبز ايدي.

اه يا استاذ ليتك اليوم خي فتطردني في اليوم عشر مرات.

ويدور البحث ويتدفق ذلك السيل. فيسكر الحاضرون بخمرة الحديث كانما اديرت عليهم اكواب الراح، ثم يشرف الهاشمي والسعيد والمدفعي، وتكتمل حلقة الادب من ابراهيم صالح شكر، والاثري، وبطي

"نادرة" في العراق

تستحم بالماء المثلوج!!

عادت المطربة المشهورة السيدة نادرة في الاسبوع الماضي من رحلتها التي قضت معظمها في مدن العراق وبخاصة بغداد حيث اتفق معها احد المتعهدين على احياء اثنتي عشرة حفلة فيها.

ولقد زرت "نادرة" عقب وصولها فهنأتها بسلامة الوصول.. وسألتها عن صحة سلامة السيدة ليلى العامرية، التي كانت بالعراق مريضة، والتي سبق لنادرة ان ابلغتنا في خطاب ارسلته الينا من بغداد ان سبب ذلك المرض راجع الى شدة حرارة الجو التي لا يتحملها الانسان، وزادت نادرة على ذلك فقالت انها قبل رحيلها الى العراق كانت متألمة من حرارة الصيف في مصر فرغبت ان تهاجر الى بلد آخر هربا من الحر، فلما جاء متعهد العراق للاتفاق معها على السفر سألته عن حالة الجو هناك فطمأنها من هذه الناحية، ولكنها حين وصلت الى بغداد وشعرت بحرارة الجو عادت الى المتعهد تعاتبه فاجابها: "انتي وانا في مصر نسيت حر بلادي فوصفته لك بما شعرت به في بلادك!".

قالت السيدة نادرة:

"وفي اليوم الأول لوصول الى بغداد ابلغوني انهم سيهيئون لي مكانا في اعلى الفندق (السطوح) فضايقني ذلك وقلت: "وهل من اللائق بي وبكرامتي ان انام في السطوح، وهلا توجد في الفندق غرفة أبيت فيها؟" فلما سمعوا ذلك مني انتقوا احسن غرفة في الفندق وقادوني اليها. وادرت المروحة التي فيها واحضرت زجاجتين مملوءتين ماء مثلوجا واحتضنتهما الا ان ذلك كله لم يلطف من حرارة الجو شيئا، وفي اليوم التالي طلبت ان يفرشوا لي مرتبة لا فوق السطوح فحسب بل فوق المئذنة اذا امكن!!

وبعد ان "تغزلت" نادرة في حر العراق ما شاء لها الغزل قالت:

"اود ان انصح للسيدات الاوروبيات اللواتي يلجأن الى حمام الشمس في المصايف كي ينلن اللون الاسمر ان يقصدن الى العراق وان الكفيلة بانهن يعدن الى بلادهن كالكتاكيت المسلوقة".

ومن نوادر نادرة في هذا السبيل انها كانت تأتي بلوح من الثلج وتضعه في "البانيو" كلما ارادت الاستحمام.

وبعد ان احيت نادرة حفلات بغداد قامت الى البصرة بالطيارة فاحيت فيها اربع حفلات ثم عادت الى بغداد بالسيارة، وفي ذلك تقول انها قادت السيارة بنفسها وكانت موضع الاعجاب لمهارتها.

وقد امتدحت نادرة المناظر الطبيعية في البصرة وخصوصا (شط العرب) وقالت ان هناك نوعا من القوارب يطلقون عليها اسم (البلم) – يفتح الباء واللام – وهي تشبه تلك التي تمخر شوارع البندقية المسائية، فاذا ركب الانسان البلم وسار في شط العرب ملكت لبه المناظر الساحرة والسماء الصافية واستولى عليه الخيال والشاعرية.

ولما عادت نادرة الى بغداد اقامت بضع حفلات اخرى إلا ان ذلك لم يرق المتعهد الذي اشترط عليها في التعاقد ان لا تقيم ببغداد حفلات غير الاثنتي عشرة حفلة التي اشتراها لحسابه – ومن ثم رفع عليها دعوى يطالبها بتعويض قدره (٤٠٠ جنيه) لاخلالها بشروط التعاقد، وعرضت القضية امام "محكمة بداءة بغداد" وتقدم للدفاع عن المطربة الاستاذ القدير نجيب الراوي وهو من كبار المحامين هناك، وقد صدر الحكم في مصلحة نادرة اذ رفضت الدعوى واضيفت المصاريف على جانب المدعي.. وكانت المحكمة دقيقة في حيثيات الحكم الى اكبر حد حيث رأت ان المقصود من عدم اقامة حفلات خلاف المتفق عليه هو ان لا تكون الحفلات اللاحقة معطلة لحفلات المتعهد.. وما دامت حفلاته قد انتهت فلها كل الحرية في ان تقيم ما تشاء من الحفلات.

هذا وقد عرفنا من السيدة نادرة ان حفلاتها هناك صادفت نجاحا كبيرا، وانها قوبلت من اهالي العراق احسن مقابلة، وامتدحت اخلاق اخواننا هناك واطنبت في ذكر الكثيرين من الكبراء والعظماء وخصوصا صبحي بك الدفتري (امين العاصمة).

واطلعتنا على قصيدة عامرة نظمها فيلسوف العربية وشاعرها الكبير (جميل صدقي الزهاوي) تحية للمطربة المصرية بعد ان سمعها واعجب بغنا..

ومنها ونحن نقتطف منها هذه الابيات:

اميرة الفن على !! ابداع
انت قادرة
معجزة ثالثة
من معجزات
القاهرة
بين اغانيك ووجـ ... هك الجميل أصره

لو كان يحيا الميت أحـ
يته الاغاني الساحرة
فحبذا الفن وحبذا اغاني نادرة
ومنها
كوني لشيخ قد صبا
الى الجمال عاذرة
لا تحسبي الشيوخ أمـ
ثال الرسوم الدائرة

×××××

ان الحياة كلها
الى الحتوف صائرة
فلنكسب الدنيا ور
بي غافر في الاخرة

وقد ختم الاستاذ الزهاوي قصيدته بقوله:

وربما دار الزما
ن معلنا بشائرها
فخول الشعب حقو
ق الأمم المجاورة

هذا وقد حدثتنا نادرة عن نهر دجلة ومائه العذب فقالت انه يساعد على الهضم بسرعة فائقة فهو في الحقيقة يروي ويداوي في وقت واحد. وختمت المطربة حديثها قائلة انها وصلت الى بغداد ووزنها ستون كيلو جراما ولكن مضايقة الحر لها انقصت وزنها الى ستة وخمسين كيلو!

م. الاثنين
1934/10/8

نادرة في الفندق

يعتبر ميناء البصرة من احسن وانظم موانئ العالم. وفي الكلمة التالية يجد القارئ صورة عامة للميناء المذكور بكافة مؤسساته واقسامه والتطورات التي تغلب فيها.

يشتمل ميناء البصرة على النهر المعروف بشط العرب وعلى مسالكه الواسعة ابتداء من البحر المكشوف الى نهر عمر، اي ما يعادل مسافة 100 ميل، وكذلك على المرافيء والارصفة والترسانات والميناء الجوي وخلافها، وهو يشمل منطقة مساحتها 2000 فدان (اكر) وواقع تحت ادارة مديرية ميناء البصرة. ويرجع تاريخ تجارة البصرة الى بضعة آلاف من السنين ولكن التقدم الذي حازه ثغر العراق خلال العشرين سنة الماضية يفوق كثيرا ما ناله من التقدم طيلة العصور الدابرة.

ميناء البصرة قبل ثمانين عاما

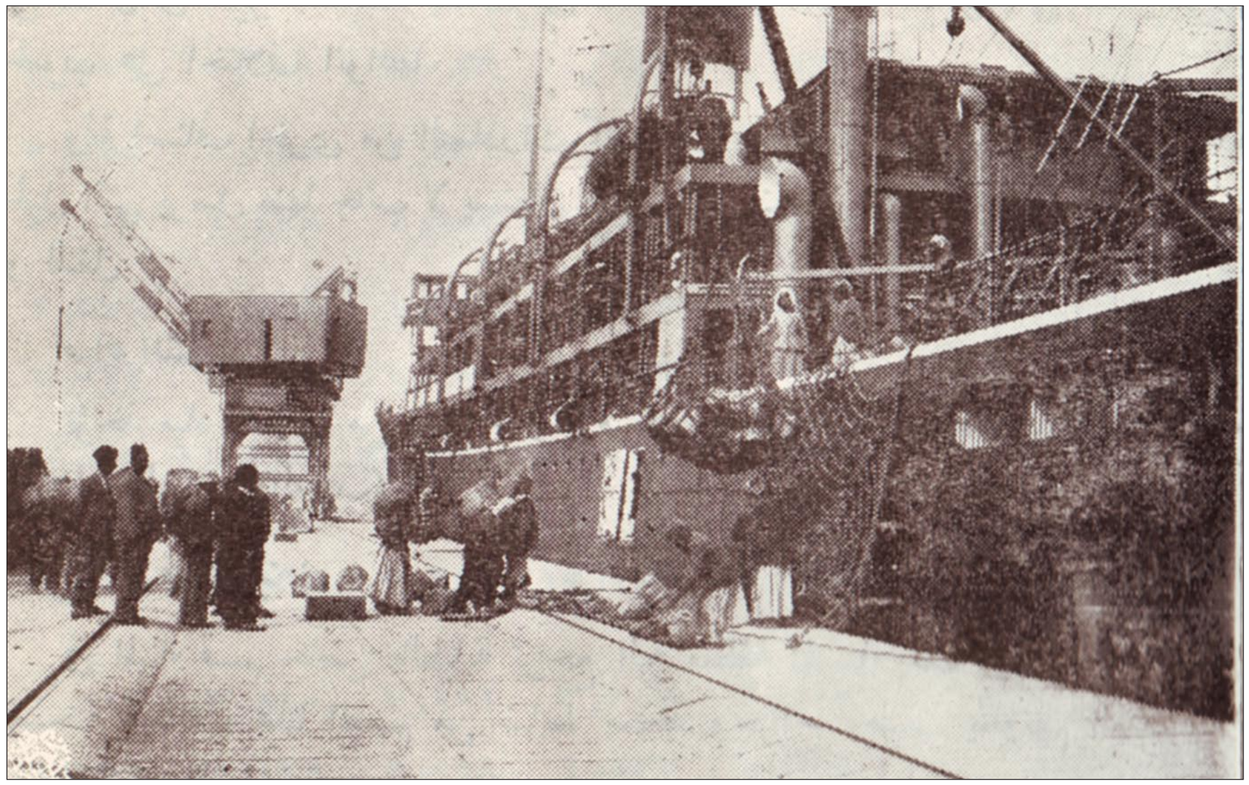

منظر احدى البواخر اثناء شحنها التمور

وانه ليتعذر علينا الان ان نقارن مقارنة صادقة بين الميناء الحديث كما هو عليه اليوم وبين الاوضاع التي كانت سائدة فيه قبل عشرين سنة ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نسجل هنا التغيرات التي ادخلت عليه خلال هذه المدة.

وقبل ان نتبسط في الموضوع نرى من الفائدة ان نأتي على لمحة موجزة من تاريخ البصرة مما له علاقة بالموضوع.

فالمعلوم ان اسم "البصرة" مأخوذ من ذلك المعسكر العظيم الذي اقامه الخليفة عمر، ثاني الخلفاء الراشدين في سنة ٦٣٧ ميلادية للسيطرة على العراق الادنى (الاسفل) ولاسيما على المسالك البحرية، ومن هذا المخيم العسكري انبثقت مدينة البصرة الشهيرة، مدينة الفلاسفة والشعراء والمؤرخين وعلماء الدين الذين قاموا بتأسيس المدارس الخطيرة التي تراكم الوحول والرواسب فيها فانعدمت المواصلات بسبب ذلك بينها وبين الخليج. وهكذا اخذت مدينة السندباد البحري الشهيرة بثروتها وسعتها تسير الى الانقراض شيئا فشيئا حتى هجرت نهائيا عندما انتقلت المدينة الى موقعها الجديد. وقد احتل الترك هذه المدينة في القرن الخامس عشر ومنذ ذلك الحين ما فتيء مصيرها في تقلب مستمر، ومع انها اصبحت في نهاية القرن التاسع عشر ميناء ذا شأن لتجارة الصادرات والواردات العراقية فانها لم تستعد عشر معشار شانها القديم.

وعندما دخلها الانكليز في الحرب العامة اصبحة البصرة مقرا لقوات كبيرة من القوات المحاربة ويمكننا ان نقول بان تاريخ "ميناء البصرة الحديث" ابتدأ منذ ذلك العهد فلقد ادخلت عليه تحسينات جمة متوالية كان من شانها حصول مدينة البصرة وميناؤها على هذه الدرجة من الاهمية والخطورة.

اما قبل الحرب فلم يكن الميناء ينطوي على شيء من التسهيلات ما عدا ثلاث مظلات خاصة بالشؤون الكمركية اذ لم يكن يتسنى للمراكب التي تفوص اكثر من ١٩ قدما في الماء الدخول في النهر بسبب السد الذي كان يعترض مدخل شط العرب ولذلك كانت التحميلات والتفريغات تجرى كلها في وسط المياه بواسطة القوارب الكبيرة، يساعد على ذلك ان المحمولات في ذلك العهد كانت غالبا من النوع الخفيف الذي يسهل نقله بهذه الوسيلة باستثناء المواد التي كانت تجلب من الخارج للقطار الالماني، فقد كانت هذه المواد ثقيلة بحيث رؤى من الضروري انشاء رصيف وقتي من اجلها في المعقل، وفضلا عن ذلك فان عدد البواخر الراسية في آن واحد في الميناء لم يكن في اي وقت من الاوقات يتجاوز الاثنتين.

ولكن هذه الاوضاع ما عتمت ان تغيرت بسرعة في ايان الحرب العامة وبعدها اذ قد جلبت المعدات والادوات اللازمة وكلها من احدث طراز وشيدت المرافيء ومهدت الاراضي ومدت الخطوط الحديدية وقد اختيرت قرية المعقل الواقعة على قيد اربعة اميال من العشار لانشاء المرافيء المركزية عليها، وانما وقع الاختيار على هذه القرية نظرا الى وجود مجرى عميق هناك يسير بمحاذاة ضفة النهر الى مسافة ميلين تقريبا الامر الذي قلل نفقات الانشاء الى الحد الادنى. وفي سنة ١٩١٩ رأت السلطات العسكرية ان تتخلى عن ادارة شؤون الميناء باعتباره مؤسسة عسكرية بعد ان خدم اغراضها ومصالحها وان تتخلص من تبعات صيانته وادامته بجعله مؤسسة تجارية قائمة بذاتها تحت اشراف الحكومة الملكية فتم ذلك في ١ نيسان سنة ١٩٢٠ وتألفت هيئة استشارية من ممثلي المحلات التجارية التابعة للادارات الملكية والعسكرية ساعدت مدير الميناء على وضع قواعد الميناء ونظمه في شكل قوانين وجداول للرسوم والتكاليف.

ومع ان الميناء في ذلك العهد كان قد استوفى القسط الكبير من ضروريات ومستلزمات فانه لم يكن في وضع يؤهله لان يقف في مصاف الموانيء التجارية الحديثة بل انما كان في وضع يتحتم معه بذل الجهود والاموال الطائلة في سبيل استكمال حاجياته الضرورية جدا لاسيما انشاء المخازن والمستودعات والمباني الدائمية.

ولما كانت الادارة العسكرية عند اضطلاعها بشؤون الميناء قاصرة جل همها على السرعة والعجلة بصرف النظر عن التكاليف بالغا ما بلغت فان ادارة الميناء – في عهدها الجديد – ما فتئت ان شعرت بحاجة ملحة الى اللجوء الى اقصى حدود الاقتصاد في سبيل ضمان توازنها المالي. وكان اول تدبير قامت به في هذا الصدد انها قسمت ادارة الميناء الى اربع شعب وهي : الشعبة البحرية وشعبة الهندسة وشعبة النقل والشعبة المالية. وفي الوقت عينه انشأت دائرة لصحة الميناء كانت في بدء عهدها تابعة لدائرة الصحة العامة للحكومة العراقية ثم انتقلت في سنة ١٩٣٢ الى ادارة ميناء البصرة.

وانه ليطول بنا الشرح اذا اردنا ان نعدد كافة المساعي والجهود التي بذلك في سبيل استكمال مهام هذه المؤسسة وحاجاتها من اعمال الحفر والبناء وامتلاك الاراضي وتسويتها واستحضار المكائن ووسائط لنقل وخلافه، فحسبنا ان نقول بان الميناء الان قد استوفى كافة حوائجه ومهماته بتكاليف قليلة تبعث على الدهشة والاستغراب وبانه قد اصبح – مع اعتبار حجمه – من احسن موانئ العالم بلا جدال . واذا تراه يستطيع اليوم ان يقدم للاوساط التجارية في العراق كافة التسهيلات المنتظرة من سائر الموانئ الحديثة، واذا هو استطاع ان يفتح مجالا للبواخر البحرية الضخمة في شط العرب فانما هو مدين بذلك بدرجة كبيرة الى قيام العراق باستثمار موارده الطبيعية سواء الفعلية منها او الاحتمالية.

حدود الميناء:

تمتد حدود الميناء من خليج البصرة عند مدخل شط العرب الى نهر عمر على بعد ٢١ ميلا من البصرة ويقع الاشراف على البواخر في عبادان ضمن اختصاصه.

اعمال الحفر:

لقد كانت ملاحة الميناء فيما مضى مفيدة بدرجة عمق المياه في السد الخارجي عند مدخل شط العرب على بعد ١٦ ميلا من الفاو، وكان هذا السد عائقا كبيرا لشؤون التحميل. ولذلك كان من الضروري القيام باعمال الحفر في هذا السد لافساح المجال للمراكب الكبيرة للدخول الى النهر، وعليه فقد شرع في الحفريات في كانون الاول سنة ١٩٢٤ عندما وصل اول اصغر مركب حفار المسمى "ليجر" وفي اذار سنة ١٩٢٥ وصل الحفار الثاني "تيجون" ثم اعقبا بحفارين ثانيين "اونكر" و"بصرة" في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٧ فبلغ مقدار ما استخرجته الحفارات الثلاث الاولى من المواد الى نهاية كانون الاول سنة ١٩٣٦ (١٧٤,٨٦٧,٣٢١) طنا وهكذا بينما كان عمق الماء عند السد الخارجي في ايام الزيادات ١٩ قدما فقط اصبح الان يبلغ نحو ٣٢ قدما، اما المنطقة التي تناولها الحفر فتبلغ نحو ١٥ميلا بعرض ٣٠٠ قدم.

الاسعافات والعوامات والاضاءة:

تقع مصلحة شؤون الاضاءة والعوامات وغيرها الكائنة في المسالك المؤدية الى النهر وفي مجاري البحر الموصلة الى الميناء وفي شط العرب تحت اشراف الميناء. وفضلا عن ذلك فان مديرية ميناء البصرة مكلفة نيابة عن حكومة الهند بتعهد وصيانة المنارات وشؤون الاضاءة في خليج البصرة.

وهناك، في السد الخارجي، دليل (سمافور) قائم لارشاد السفن مجهز بآلة مسجلة اوتوماتيكية ليلية تبين للمراكب التي تريد المرور عمق المياه في الوقت الراهن. اما السد وسائر ما يعترض الملاحة من الصعوبات فقد اتخذت التدابير الدقيقة لتلافيها بواسطة علامات دالة و ٥٠ اداة من ادوات الاضاءة الحديثة ذلك فضلا عن المقاييس الاضافية الاوتوماتيكية الاربعة المضاءة لارشاد الملاحين، الامر الذي جعل سير المراكب في النهر ميسورا في الليل كما في النهار.

مرفأ البصرة:

تمتد حدود مرفأ البصرة الى "معقل" على مسافة ٥ اميال من المدينة حيث تقوم اهم ممتلكات ميناء البصرة.

منطقة الميناء:

تشمل ممتلكات ميناء البصرة في المعقل منطقة مساحتها نيف و ١٥٠٠ فدان (أكر)، وقد روعي في امتلاك هذه الاراضي الشاسعة احتمال التوسعات التي قد تدعو الحاجة الى اللجوء اليها في المستقبل. وقد ظهرت الان حكمة هذا التدبير وصوابه فقد ارتفعت قيمة اراضي هذه المنطقة ارتفاع لم يكن في الحسبان وعلاوة على ذلك فقد تسنى لدائرة الميناء – في سبيل مصلحتها والمصلحة العامة – ان تؤجر قسما كبيرا من هذه الاراضي الى السكك الحديدية بحيث اصبح خط قطار بصرة – بغداد ينتهي ضمن منطقة الميناء في الجهة المقابلة للمرافيء المركزية، هذا ومع تخصيص قسم من هذه المنطقة لبناء ميناء البصرة الجوي الجديد فقد بقي في حوزة الميناء من الاراضي ما يكفي للتوسعات التي ستدعو اليها الحاجة في المستقبل.

منظر تسقيفات بضائع المرور (الترانسيت)

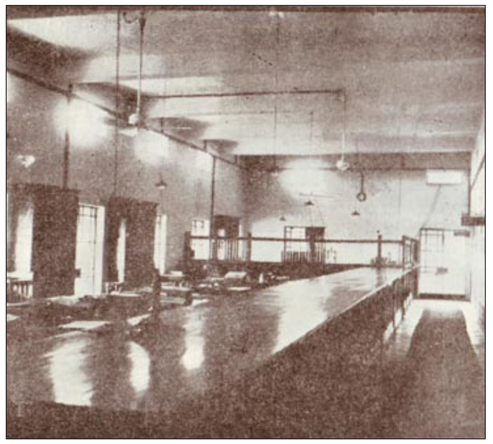

منظر جناح احدى دوائر الميناء

الدوائر:

تقع دوائر موظفي الميناء في ابنية المقر المطلة على المرافيء المركزية في معقل، وقد عهد بادارة شؤون الميناء الى مدير الميناء ومدير الملاحة العام وتنقسم هذه الادارة الى شعب البحرية والنقلية والهندسية والمالية وصحة الميناء وقد تم انشاء هذ البناء الفخم وقام جالة المغفور له الملك فيصل الاول بافتتاحه في اذار سنة ١٩٣١، ويبلغ طول هذا البناء ٢٥٠ قدم وعرضه ٧٠ قدما وارتفاعه من مستوى الطريق الى قمة برجه الازرق الغامق ٦٦ قدما وهو بناء شائق متين يليق بشأن مؤسسة خطيرة كمؤسسة الميناء.

الشرطة ورجال الاطفاء:

لادارة الميناء شرطتها الخاصة وهي تتألف من ٥٠ شرطيا من قوة الشرطة العراقية ومركزها في مداخل المرافيء الكبرى، ولها ذلك قوة من رجال الاطفاء مجهزة باحدث المكائن والزوارق الخاصة بالاطفاء ذلك فضلا عن المضخات والاستعدادات الاخرى الكافلة لمجابهة الطوارئ بكفاية تامة.

سرعة الشحن:

في وسع ميناء البصرة، بما لديه من المعدات الحديثة والمداخر الواسعة وتدابير الوقاية من كافة انواع الطوارئ، ان يقوم بتفريغ الاموال على اختلاف اصنافها وتحميلها وخزنها بكل سرعة واقتصاد ومثالا على سرعة الشحن قضية مراكب البريد السريع الاسبوعية المسافرة الى بومبي، فانه لما كان سير هذه المراكب مقيدا باوقات معينة فهي ملزمة بعدم البقاء في الميناء اكثر من ٤٨ ساعة على ابعد تقدير ففي هذه المدة المحدودة تقوم ادارة الميناء بشحن وتفريغ ما قد يبلغ ٥٠٠٠ طن من الاموال.

المواصلات اللاسلكية والتلفون:

يتصل مقر الميناء بكافة محطاته الخارجية وكذلك بمراكب الحفر والتفتيش والانقاذ وغيرها التابعة ل وبدوائر الميناء في عبادان ومعامل التصليح مع المقر في الفاو بواسطة الراديو تلفون والتلغراف اللاسلكي، كما ان الاتصال بينه وبين سائر الاقسام الداخلية التابعة له قائم بواسطة التلفون الاتوماتيكي.

الواردات:

ان الاموال الواردة الى العراق انما تأتي في الغالب من انكلترة والمانية وفرنسة وايطالية والهند واليابان واهم هذه الواردات المواد البنائية والشاي والسكر والقماش والخشب والسمنت والمكائن. ومما هو جدير بالملاحظة ان الوارد من المواد البنائية قد زاد في السنين الاخيرة زيادة كبيرة ويرجع سبب هذه الزيادة الى فتح حقول النفط في الشمال وسائر المشاريع الصناعية وكذلك المشاريع العمرانية الواسعة القائمة على ساق وقدم في بغداد وسائر المدن الكبيرة.

الصادرات:

تعد البصرة من اعظم اسواق التمر في العالم. ويمكننا ان نقدر خطورة هذه السوق اذا علمنا بانها تمون العالم بما يقارب ٧٥ بالمائة من مجموع حاجته من التمور. ومعظم هذه التمور تشحن الى انكلترا وسائر البلاد الاوروبية والولايات المتحدة وكندة واستراليا وافريقية الشمالية والهند.

ومن اهم صادرات العراق الاخرى الشعير والحنطة وسائر الحبوب ولاشك في ان صادرات هذه الاصناف ستتوسع توسعا كبيرا عندما يتم تحقيق مشاريع الري التي هي الان في حيز التنفيذ يضاف الى ذلك الهمة الكبيرة المبذولة في سبيل ترقية الحبوب على اختلاف انواعها. وثمة اصناف اخرى من الصادرات كالصوف والجلد والسوس والقطن ومنها ايضا الخيل التي يرسل منها جانب لا يستهان به في كل سنة الى الهند سواء الاغراض السباق او للنقل.

مياه الشرب:

تؤخذ مياه الشرب من الميناء وتقوم مديرية الميناء بتوزيع هذه المياه على البواخر بواسطة الجنيبات (الدوب).

الصحة والطبابة:

في الميناء قسم خاص بالطبابة ترجع اليه منطقة الميناء كلها فيما يتعلق بشؤونها الصحية ويتالف هذا القسم من ضابط صحة وجراح وطبيب يعاونهم العدد اللازم من المفتشين الصحيين.

وللميناء ايضا، علاوة على منطقة الاعتزال الكاملة العدة، مستشفى مشترك مع السكك الحديدية، وهناك ايضا عند مدخل المرافيء الكبرى مستشفى آلي سيار لنقل المرضى والمصابين باحداث طارئة.

الكهرباء:

للميناء محطته الكهربائية الخاصة التي تقوم ليس فقط بسد حاجته الخاصة بل وتتعهد بتزويد البصرة كلها بالتيار الكهربائي ايضا. اما ماكينة الكهرباء الجديدة فقد نصبت في الحبيلة على مقربة من معامل الميناء ومخازنه وقد تم نصبها وتشغيلها في اذار سنة ١٩٢٥ عندما اغلقت محطة الكهرباء القديمة التي كانت قد اقامتها السلطات العسكرية في زمن الحرب.

نشرة (العراق الجديد)
مديرية الدعاية العامة
1939

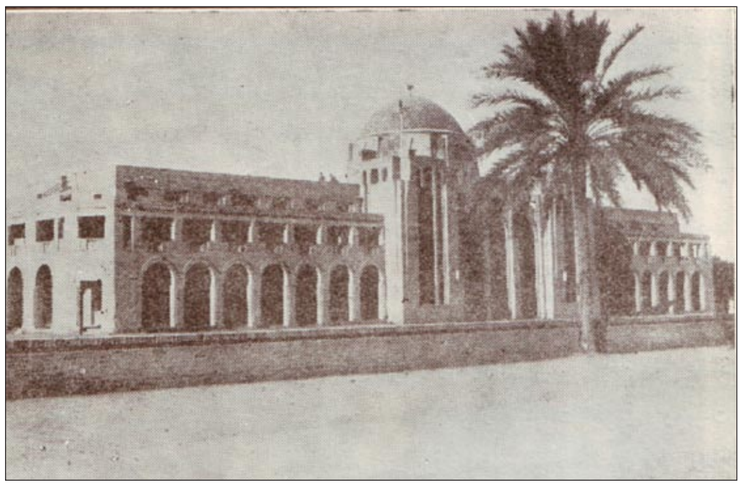

ذكريات بغدادية عن :

ساحة القشلة

كيف هرب جسر بغداد الى الدورة وارجعوه بالطبول و المزامير

يقال – والعهدة على القائل – ان بغداد عاصمتنا الجميلة كانت الى ما قبل عهد مدحت باشا قرية كبيرة ، يحدها من الجنوب جامع الازبك ، وتمتد في اتجاه الرصافة لتنتهي عند باب المعظم ، اتجاهها الآخر ينتهي الى محلة المربعة « موقع شركة المخازن اورزدي باك حالياً »

اما صوب الكرخ فكان واحة من بساتين ورمال . ويرتبط « الصوبان » بجسر هزيل يقوم على قوارب من خشب ومثبت من جانبيه بسلاسل تقيه الانسياب مع تيار المياه .

ويروى أن هذا الجسر قد اعتاد الهرب من مكانه في كل موجة فيضان تصيب ، ويبدو أن هذا الجسر لا يبتعد في هروبه أكثر من منطقة الدوره اذ يقف هناك في نقطة تدعى « كرارة » . عند ذاك – تضطر السلطات المختصة الى ارجاعه وسط زوبعة من الطبول والرقص والمزامير .

وجاءت القشله :

يبدو أن السلطات الحكومية آنذاك لم تكن تملك مباني مهمة غير المراكز الطينية البسيطة ، ولكن مجيء الوالي « مدحت باشا » ليقود دفة الحكم في بغداد تنبه الى ذلك ، وشرع بتنفيذ عدة مشاريع منها ، بناء قشله لمشاة الجيش على الجانب الغربي من دجلة وسماها فيما بعد «قشلة البياده » أي مقر المشاة من الجنود ، وبمرور الوقت استطاعت هذه القشله أن تحوز على اعجاب مدحت باشا فاتخذها مقراً له بين عامي (١٨٦٩– ١٨٧٢) . وجمع بها أيضاً الدفتردار ومدير الشرطة ومسؤول البلدة والقاضي والخزندار وكتخدا .

الساعة الجزلية :

كنا نسمع كثيراً بساعة القشله ، منذ كنا صغاراً وكيف أنها شهدت حوادث تاريخية زادت في دلالتها .

ذهبنا نقترب من بدايتها قليلاً ونسأل الدكتور حسين أمين رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب عن هذه الساعة وميزاتها .

– بعد أن اكمل الوالي مدحت باشا بناء القشله أقام وسطها برجا لساعة « ساقة » لا تزال موجودة حتى يومنا هذا ومن ميزاتها أنها تدق ارباعا وانصافاً وساعات . وهي مشيدة من حجر جميل الشكل يعلوها حيوان على صورة « جمل » يستدل من اتجاهه على مسار الريح ، والحقيقة أن هذه الساعة كانت تستخدم لايقاظ الجنود في الصباح الباكر »

وقبل أن ينهي الدكتور حسين أمين وصفه لهذه الساعة وساحتها ، يطلع علينا ابن بطوطة ليقول :

– كان للقشله ثلاثة أبواب ولكل باب طاق كبير جميل الشكل ، ومن أجمل ما تمتاز به أنها بنيت بهذه الضخامة دون أن يستعمل في بنائها أي نوع من الحديد أو المواد الانشائية ماعدا الحجر .

ويعود لنا الدكتور حسين أمين قائلاً :

– وفيما بعد ، أي بعد مجيء الحكومة العراقية المؤقتة سنة ١٩٢١ ، أشغلت بناية القشله بوزارة المالية ومجلس الوزراء والشرطة العامة ووزارة الداخلية .

مجلة الاذاعة و التلفزيون
تشرين الثاني 1975

16
العدد (2273) السنة التاسعة الاثنين (10) تشرين الاول 2011
ذاكرة عراقية
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير : باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون